

د. محمد بن سرار اليامي

عقابيل

دار الظاهرية

عقابيل

الطبعة الأولى
١٤٤١ هـ - ٢٠٢٠ م



الكويت- الجهراء- القيصرية القديمة- مجمع كابيتول مول- السرداب- محل ٢٤
Website : www .daradahriah .com
E-mail : daradahriah@gmail .com
(+965) 99627333 - (+965) 51155398

الموزعون المعتمدون

دار أندلسية للنشر والتوزيع	دار التدمرية للنشر والتوزيع	مكتبة الميمنة المدنية
(الكويت)	(الرياض)	(المدينة المنورة)
darandalusia@hotmail.com	tadmoria@hotmail.com	daralmimna@gmail.com
(+965) 94747176	(+966) 114925192	(+966) 558343947
مكتبة الشنقيطي للنشر والتوزيع	المكتبة الأسدية للنشر والتوزيع	مفكرون الدولية للنشر والتوزيع
(جدة)	(مكة المكرمة)	(مصر الجديدة)
hassan_hyge@hotmail.com	alasadi2000@hotmail.com	mofakroun@gmail.com
(+966) 504395716	(+966) 125273037	(+2) 01110117447

د. محمد بن سرار اليامي

عـقـابـيـل

دار الظاهرية للنشر والتوزيع



مقدمة

الحمـد للـه لـه العقبـى، وهـو الـوارث، والصـلاة والسـلام علـى محمـدٍ العاقـب، وعلـى آلـه وصحبـه أهـل المناقـب، وبعـد؛

فهـذه عقابيـل ما أقـول، جمعتهـا لكم عقبولـة، عقبولـة، كل عقبولة منهـا تحكي أمـلًا، وتـداوي ألمًا.

العقابيـل عقبـى الشـيء، وَعِلَّتُهُ، وهي فـي مجملها آثار مـا نقول في حياتنـا، ونكتـب بأقلامنا، ونعاني مـن آلامنا، ويبقى مـن آمالنا..

كتبتهـا بمـداد الـروح، وقلـم المُحـبّ، عسـاها أن تكـون قناديـلَ مُقَنْدَلَـةً، فـي طريـق المعرفـة، أملتهـا اللحظـة، وقيدهـا قلـم الإسـعاف.

سـاهمتُ بهـا كمشـاركة مجتمعية في صحـفٍ سَـيّارة، ورقية كانت أو إلكترونيـة، حاولـت فيهـا تقريـب المعرفـة للنـاس، وخدمـة المجتمع فـي بيان مـا يلـزم بيانـه، وتوصيـل رسـالة المسـئولية، والمحـب إلى من يخـب بحب..

فكانت هذه العقابيل .. عاقبةً لما أقول، وعربون صداقة لكم..

العقابيـل: واحدتهـا: العُقْبولَـةُ والعُقْبولُ: ويُجمَعُ أَيْضـا على عَقابِل فِي ضرورةِ الشِّـعرِ، قَـالَ رُؤْبَة:

مِن وِرْدِ حُمَّى أَسْـــــأَرَتْ عَقابِلا
بلْ بلدةٍ تُكسَى القَتَامَ الطَّاحِلا[١]

والعقابيـل: قـروحٌ صغـارٌ تخرج بالشَـفة من بقايا المـرض. وقيل لا تختص بالشـفة فحسـب؛ فتطلق على جسـم الإنسـان كله، وقـد قيل: كأنّ أرْجُلَها فِيهَـا عَقابيلُ.

وَيُقَال: العَقابيل: بقايا كلِّ شيءٍ من المرض والعداوة والعشق.

والعَقابيل أيضًا: الشَّدائدُ من الأمورِ.

وَيُقَال لصَاحب الشَّرّ: إِنَّه لذُو عقابيل. وَيُقَال لذُو عواقيل[٢].

والعقابيـل كلمـة منحوتـة، تقـع تحـت النحـت الاسـمي: وهـو أن تنحـت كلمـة واحـدة مـن كلميـن فأكثـر اسـماً، مثـل: جلمـد مـن جلـد وجمـد، قـال ابـن فـارس: «وهذا مـن كلمتين: مـن الجلد، وهـي الأرض الصلبـة، ومـن الجمـد، وهـي الأرض اليابسـة»[٣].

و«مـن ذلـك الضرغـام: الأسـد، فهـذا منحـوت مـن كلمتيـن: مـن ضغـم، وضـرم. كأنـه يلتهـب حتـى يضغـم»[٤].

«ومن ذلك عقابيل: من عقبى وعلة»[٥].

---

(١) الرجز لرؤبة في ديوانه ص ١٢٤.
(٢) ينظر المراجع التالية: العين (٢/ ٣٠١)، جمهرة اللغة (٢/ ١١٩٩)، تهذيب اللغة (٣/ ١٩١)، الصحاح تاج اللغة (٥/ ١٧٧٢)، النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٢٦٩)، القاموس المحيط (ص: ١٠٣٥)، لسان العرب (١١/ ٤٦٦)، تاج العروس (٣٠/ ٤١)، المعجم الوسيط (٢/ ٦١٣).
(٣) مقاييس اللغة (١/ ٥٠٧).
(٤) المرجع السابق (٣/ ٤٠١).
(٥) فقه اللغة مفهومه موضوعاته قضاياه (٤/ ٦٦).

❋ العقابيل في التراث والأدب العربي:

وردت لفظة العقابيل على ألسنة كبار الشعراء العرب في الجاهلية والإسلام.

ففي ديوان امرئ القيس:

ذَكَرْتُ بها الحَيَّ الجَميعَ فَهَيّجَتْ
عَقَابيلَ سُقْمٍ مِنْ ضَمِيرٍ وأَشْجَانِ(١)

ولعبدة بن الطبيب:

رَسٌ كَرَسِّ أَخِي الْحُمَّى إِذا غَبَرَتْ
يوماً تَأَوَّبَهُ منها عَقَابِيلُ(٢)

ولتميم بن مقبل:

تشفي من السَّل والبرسامِ ريقتُها
سقمٌ لمنْ أسقمتْ داءٌ عقابيلُ(٣)

وللبحتري:

ونحسد أن يسرى إلينا من الهوى
عقابيل يعتاد الهوى باعتيادها(٤)

وله أيضًا:

تمادت عقابيل الهوى وتطاولت
لجاجة معتوب عليه وعاتب(٥)

---

(١) ديوان امرئ القيس (ص: ١٣).
(٢) المفضليات (ص: ١٣٦).
(٣) منتهى الطلب من أشعار العرب (ص: ٤٣).
(٤) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري (١/ ٣٩٧).
(٥) المرجع السابق (١/ ٥٥٨).

ولذي الرمة:

ولكـــــن عداني أن أكــــون أتيته
عقابيل أوصابٍ يشبهن بالخبل[١]

وللفرزدق:

فلــــــولا عقابيل الفـــــؤاد التي به
إذن خرجت ثنتــــان تبتدران[٢]

وقـال العلـوي الكوفـي المعـروف بالحِمّانـى فـي أول قصيـدة لـه يصـف بريّـةً أولهـا:

أعاده من عقابيــــل الصبا عيد
وعاد للّوم فيه اليــــوم تفنيد[٣]

وفـي أمالـي القالـي: عَنِ الأصمعـي، قَالَ: أنشـدنا منتجع بـن بنهان لرجـل من بنـى الصيداء:

فهاجت عقابيل الهوى إذ ترنمت
وشبت ضرام الشوق تحت الشراسف[٤]

وفي الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين لشاعر مجهول:

وما أُشــــرفُ الأيفاعَ إلاَّ تحدَّرتْ
عَقابيلُ شوقٍ يمتَرينَ المَدامِعا[٥]

---

(١) ديوان ذي الرمة شرح الباهلي (١/ ١٥٨).
(٢) المرشد إلى فهم أشعار العرب (١/ ٥٠٥).
(٣) الإبانة عن سرقات المتنبي لفظا ومعنى (ص: ٢٦).
(٤) أمالي القالي (١/ ١٣٢).
(٥) الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين (ص: ٧٠).

وقال الطغرائي:

إذا قلت هذا يوم أســــلو تراجعت

عقابيل من أســــقامه ووساوس[١]

ولأبي علي الحسن بن مسعود اليوسي:

فلولا رجاء الفوز منا بشــــربة

تداوي عقابيل الهوى والجَوى المُغْرى[٢]

وقد وردت لفظة عقابيل على ألسنة الأدباء العرب نثرًا، في سياقات بليغة جميلة، ومن ذلك:

قول المؤرخ والأديب والشاعر عماد الدين الكاتب: «ولولا أني في عقابيل نوائب آلمت حين ألمت، وارتهنت ذمة الصبر وما أذمت، لكنت أنا الوافد إليك، والوارد عوض كتابي عليك»[٣].

وقول الأديب والكاتب علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب الباخرزي، صاحب كتاب دمية القصر الذي أهداه إلى الوزير نظام الملك: «واتّفق أني وافيت بنيسابور بمنصرفي من البصرة، وهو عليها للمقام معرّج، وفيها لأوتاد الخيام مشجّج. وكنت في عقابيل أسقام استصحبتها من تلك الأهوية»[٤].

وقول القلقشندي، الأديب والمؤرخ الشهير صاحب صبح الأعشى: «وتشوّقت أولياء هذه الدولة القاهرة أدام الله سلطانها إلى

---

(١) المرقصات والمطربات (ص: ٧٥).

(٢) المحاضرات في اللغة والأدب (ص: ٩٥).

(٣) خريدة القصر وجريدة العصر (١/ ٨٢).

(٤) دمية القصر وعصرة أهل العصر (١/ ٢٠٥).

حضـور ملكهـا، وسـفور الصّبـاح لإذهـاب ما أبقتـه عقابيـل تلـك الليلة مـن حلكهـا»[١].

ويقـول الأديـب أبـو إسـحاق إبراهيـم بـن أبـي الحسـن الفهـري المعـروف بالبونسـي: «ولـولا تَـرَدُّدي فـي عقابيـل سُـقم لزمتْ جسـمي شـهوراً، واتخذتْهُ ربعـاً معموراً، لما اسـتنبْتُ في التهنِئةِ خطابـاً، ولحَثْثُ نحوكَ رِكابـاً»[٢].

وقـد وردت هـذه اللفظة على ألسـنة بعض الأدباء الكبـار في العصر الحديـث، فعلى لسـان الأديب العلامة محمود شـاكر يقـول: «وهذا كلام من لا يـدرى ما عقابيل مـا يقول»[٣].

وعلـى لسـان رزق الله بن يوسـف شـيخو قوله: «وحكـي أن بعض التجـار أراد دخـول نصيبيـن وكان به عقابيـل المرض وصفـرة اللون»[٤].

وعلـى لسـان غيرهمـا: «إننـا كلّنـا نحيـا عقابيـل الزلـزال سـهولنا أضحـت جبـالاً، كرومُنا أضحـت مصانـع، خيولنا تحوّلت إلـى حافلات مكتظّـة حارقـة، وحكاياتنـا القديمـة مـا عدنـا نجدهـا إلا فـي أطروحات دارسـين ينالون بهـا درجاتهـم الجامعيـة»[٥].

محبكم ومن يرجو حسن العقبى لكم

د. محمد بن سرّار اليامي

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء (٦/ ٤١٨).
(٢) كنز الكتاب ومنتخب الأدب (١/ ٤١٧).
(٣) أباطيل وأسمار (١/ ٢٠٩).
(٤) مجاني الأدب في حدائق العرب (١/ ٢١٥).
(٥) مضمرات النص والخطاب (ص: ٢٠٥).

عقابيل

دخـل علينـا الأسـتاذ قبـل مـا يزيـد على ربـع قـرن، فـي درس مادة الإنشـاء (التعبيـر)، وقـال: كل واحـد منكـم يكتـب تطلعه للحيـاة، وماذا عسـاه أن يكون!..

و«عقبال» ما تكونوا عند ظن أنفسكم بكم!!!

فكتبت ذلك ولا أنساه، أن أكون معلماً يعلم الطلاب العلم...

ودخـل أخـرى، فـي حصة لاحقـة، فسـأل، عـن مواهبنـا وهواياتنا، وقـال: كل واحـد منكم يكتـب قطعة من إنشـائه عن هواياتـه، ومواهبه...

و«عقبال» ما يكون كذلك..

وأذكر أنني كتبت شيئاً من حبي للقراءة، والشعر...

وفـي كل مـرة كان الأسـتاذ يشـكل خريطة أذهاننـا المسـتقبلية دون أن نشـعر، بحق لا أنسـاه أبـداً... ذلكم المعلم الشـهم المهيـب، هو يدور بعصـاه الصغيـرة التـي لم تكـن تغـادر يده...

ولم يكن يضرب بها أيضا، إلا فيما ندر...

كـم تمنيـت أنـه أشـار لنـا إلـى تضاريـس الحيـاة، ومـع ما بنـاه من طمـوح مسـتقبلي فينـا؛ أن يكون غرس فينا ونحن الشـببة شـيئاً من حكمة الشـيوخ، بـل تركنا لتعلمنـا الأيام في مدرسـتها، دروسـاً خاصـة مدفوعة

التكاليـف مـن دموعنـا، وأعصابنـا، بل ومن سـمعتنا...

رحمك الله أستاذي الجليل...

كنت أحتاج أن أتعلم أن الكتاب المفتوح عرضة للقاذورات...

وكنـت أحتـاج أن أتعلـم أن الـروح المرحـة رهينـة سـهام طائشـة محمومـة...

وكنـت أحتـاج أن أتعلـم أن الناس طبـاق، ودرجات، ومنـازل، وأن التعامـل معهـم يكون بحسـب ذلك...

وكنـت أحتـاج أن أتعلـم أن السـر، والأمنيـة والطمـوح، لا أبـوح به لصاحـب، فضـلاً عن رجل يشـمر ثيـاب المنافسـة...

كنت أحتاج لأن أتعلم أن الشر المحض لم يخلقه، الله...

وأن رحمة الله تكمن في الرضا بمقدوره...

و«عقبـال» أن أكـون تعلمـت من هـذه الـدروس الحياتيـة الخاصة، عاليـة التكاليف..

بقي أن أقول:

العقبى لكم بتعلم ذلك من هذه المقالة بالمجان...

والسلامة من عقابيل الحياة...

وعقبى لكم...

عقبولة:

❋ الخائن لا يعرف مدى قذارة ما يصنع؛ لأنه قذر.

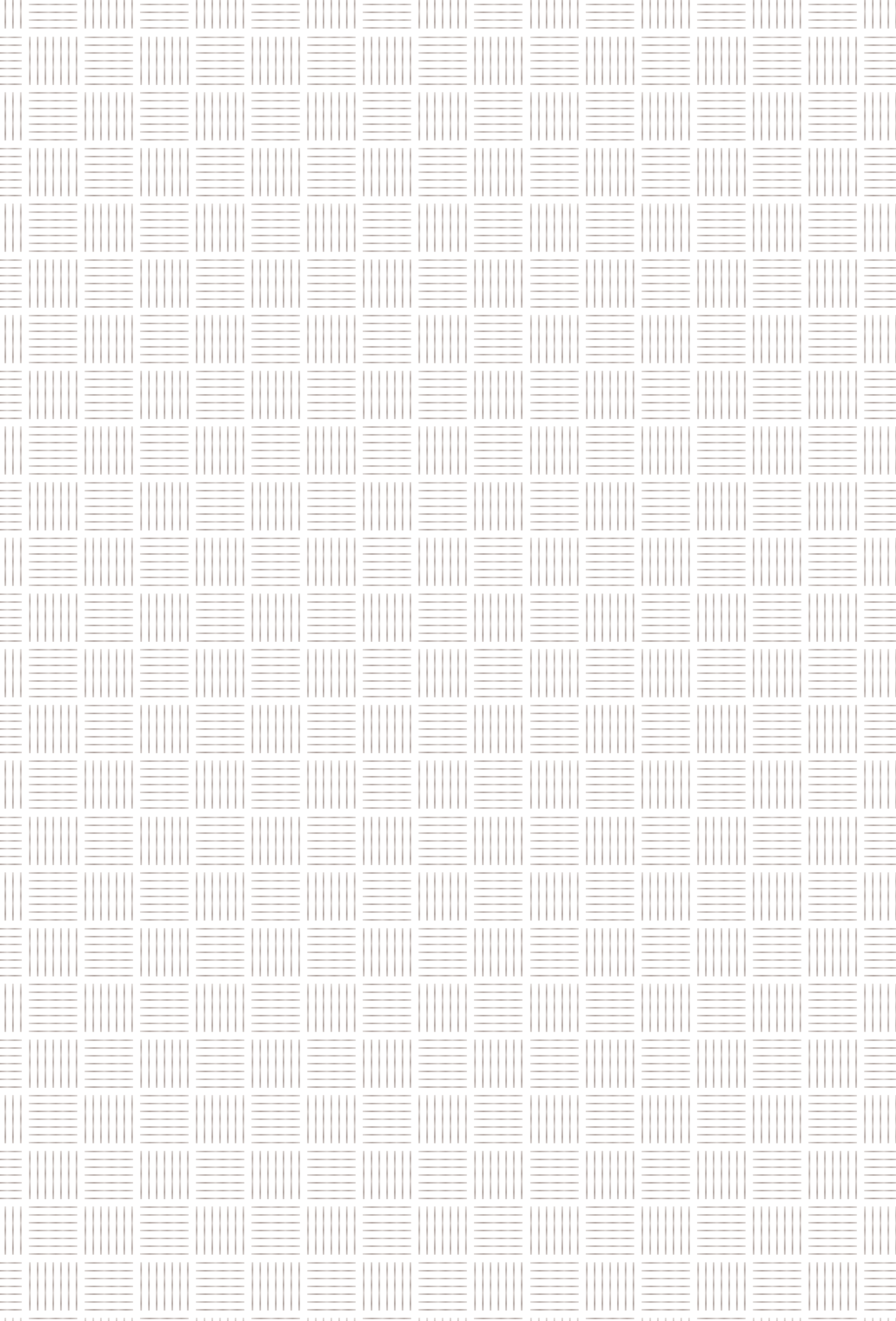
❋ الأفـواهُ الضاحكـة لـك بسـرعة، قد تكون هـي الضاحكـة عليك فـي القريـب العاجل.

❋ التسـامح الزائـد عـن حَـدّه، هـو مسـاهمةٌ مِنَّـا فـي اسـتمرار أخطائهـم.

❋ أَخَسُّ المجاملات هي تلك التي على حساب العلم والمعرفة.

❋ تذكروا ...

أن الحُبّ، هو أسرٌ بلا قيود، ولا كلفة..



التعصب الفكري... هل هو حجر في زوايانا

للمتأمـل فـي حـال الفرقـاء فـي هـذا العصـر، يجـد أن العصبيـة الفكريـة ودواعيهـا، ومظاهرهـا، فاشـية بشـكل مخيـف فـي المجتمعات العلميـة خاصـة؛ فضلا عمـا سـواها، فآثرت الحديـث عنها، وبيان شـيء مـن تلـك المظاهـر وكيفيـة الخـروج منها بأقـل الخسـائر، وقبـل الولوج فـي هـذا الموضـوع الشـائك... كان لزامـا علي أن أبيـن مفهـوم العصبية الفكريـة بجـلاء... فهـي صفـة سيّئة، تمنـع صاحبها مـن القرب مـن الله جـل وعـز، وتحجبه عـن رؤية الحقّ، وهـي الدفاع عن جهة، أو شـخص، أو حـزب، بحيـث يـرى باطلهـم حقّـاً، وإن كانـوا علـى باطـل، ويرى من يقـف فـي مقابلهم على باطـل وإن كانـوا محقّيـن، أو قريبين مـن الحق..

فالعصبيـة الفكريـة... ببسـاطة هـي: محاولة إلـزام الآخريـن بفكرة لا يريدونهـا ولا يقبلونهـا بغيـا وعدوا.

سـواء أكانـت الفكـرة فـي رأي أو منهـج أو قـول، أو حتـى طائفـة وحـزب مـن الخلـق..

ومـن صـور العصبيـة الفكرية المقيتـة: العصبيـة للشـيوخ وأقوالهم حتـى يجعـل الشـيخ معيـارا للحـق؛ فيصبـح معيـار الصـدق عنـد طالب العلـم هو قول شـيخه، الغيـر المعصوم، يقـول الماوردي –رحمـه الله–: «ولقـد رأيـت من هـذه الطبقة رجـلا يناظر فـي مجلس حفل وقد اسـتدل

عليه الخصم بدلالة صحيحة فكان جوابه عنها أن قال: إن هذه دلالة فاسدة، وجه فسادها أن شيخي لم يذكرها وما لم يذكره الشيخ فلا خير فيه. فأمسك عنه المستدل تعجبا؛ ولأن شيخه كان محتشما. وقد حضرت طائفة يرون فيه مثل ما رأى هذا الجاهل، ثم أقبل المستدل علي وقال لي: والله لقد أفحمني بجهله وصار سائر الناس المبرئين من هذه الجهالة ما بين مستهزئ ومتعجب، ومستعيذ بالله من جهل مغرب»[١].

والتعصب للشيوخ فيه من الفتنة والضرر على الأمة كالذي في تعصب أهل البدع للرجال، وبعض الأصحاب دون غيره من الصحب الكرام، ولذا انتهى ابن تيمية -رحمه الله- إلى أن التعصب لإمام بعينه شبيه بتعصب أهل البدع لصحابي بعينه، قال -رحمه الله-:

«ومن تعصب لواحد بعينه من الأئمة دون الباقين فهو بمنزلة من تعصب لواحد بعينه من الصحابة دون الباقين»[٢]، ولصيق بالتعصب للشيوخ؛ التعصب للمذاهب، فإلزام الناس بمذهب دون سواه تعصب وبغي، لاسيما إذا كان ذلك من حاكم أو سلطان، يقول ابن تيمية -رحمه الله-: «وعلى ولاة الأمر أن يمنعوهم من التظالم فإذا تعدى بعضهم على بعض منعوهم العدوان؛ وهم قد ألزموا بمنع ظلم أهل الذمة؛ وأن يكون اليهودي والنصراني في بلادهم إذا قام بالشروط المشروطة عليهم لا يلزمه أحد بترك دينه؛ مع العلم بأن دينه يوجب

(١) أدب الدنيا والدين (ص: ٧٠).
(٢) مجموع الفتاوى (٢٢/ ٢٥٢).

العذاب فكيف يسوغ لولاة الأمور أن يمكنوا طوائف المسلمين من اعتداء بعضهم على بعض؛ وحكم بعضهم على بعض بقوله ومذهبه هذا مما يوجب تغير الدول وانتقاضها؛ فإنه لا صلاح للعباد على مثل هذا»[١].

ويقترب مما سبق بيانه؛ كذلك التعصب، والإلزام بترجيح قول اجتهادي بعينه، مع أن القائل نفسه وإن كان يلزمه العمل باجتهاده إلا أنه لا يجزم بخطأ غيره، فكيف يسوغ ذلك لمقلده، قال ابن تيمية -رحمه الله-: «وما من الأئمة إلا من له أقوال وأفعال لا يتبع عليها مع أنه لا يذم عليها وأما الأقوال والأفعال التي لم يعلم قطعا مخالفتها للكتاب والسنة بل هي من موارد الاجتهاد التي تنازع فيها أهل العلم والإيمان؛ فهذه الأمور قد تكون قطعية عند بعض من بين الله له الحق فيها؛ لكنه لا يمكنه أن يلزم الناس بما بان له ولم يبن لهم»[٢].

ولذا «كان عمر بن عبد العزيز يقول: ما يسرني أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يختلفوا؛ لأنهم إذا اجتمعوا على قول فخالفهم رجل كان ضالا وإذا اختلفوا فأخذ رجل بقول هذا ورجل بقول هذا كان في الأمر سعة»[٣]، فليس للفقيه أن يحمل الناس على مذهبه، ولهذا قال العلماء المصنفون في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أصحاب الشافعي وغيره: إن مثل هذه المسائل

---

(١) مجموع الفتاوى (٣٥/ ٣٨٠).
(٢) مجموع الفتاوى (١٠/ ٣٨٣- ٣٨٤).
(٣) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٠٢).

الاجتهادية لا تنكر باليد وليس لأحد أن يلزم الناس بإتباعه فيها»[١].

ومن أنواع التعصب للمذهب أو الشيخ في عصرنا الحاضر:

التعصب للمنتمين للحزب لمجرد الانتماء، فالحزبية المقيتة: في حقيقتها ولاء ولو للباطل، وبراء ولو من الحق، وقد أشار ابن تيمية -رحمه الله- لشيء شبيه بذلك، فقال: «وأما رأس الحزب» فإنه رأس الطائفة التي تتحزب أي تصير حزبا فإن كانوا مجتمعين على ما أمر الله به ورسوله من غير زيادة ولا نقصان فهم مؤمنون لهم ما لهم وعليهم ما عليهم. وإن كانوا قد زادوا في ذلك ونقصوا مثل التعصب لمن دخل في حزبهم بالحق والباطل والإعراض عمن لم يدخل في حزبهم سواء كان على الحق والباطل فهذا من التفرق الذي ذمه الله تعالى ورسوله فإن الله ورسوله أمرا بالجماعة والائتلاف ونهيا عن التفرقة والاختلاف وأمرا بالتعاون على البر والتقوى ونهيا عن التعاون على الإثم والعدوان»[٢].

ومن دواعي العصبية أيضا: المفاضلة بين الشيوخ والمذاهب حيث يغلب عليها عدم الإنصاف، يقول ابن تيمية -رحمه الله-:

«فهذا الباب أكثر الناس يتكلمون فيه بالظن وما تهوى الأنفس؛ فإنهم لا يعلمون حقيقة مراتب الأئمة والمشايخ ولا يقصدون إتباع الحق المطلق بل كل إنسان تهوى نفسه أن يرجح متبوعة فيرجحه بظن يظنه وإن لم يكن معه برهان على ذلك وقد يفضي ذلك إلى

(١) مجموع الفتاوى (٣٠/ ٨٠).
(٢) مجموع الفتاوى (١١/ ٩٢).

تحاجهم وقتالهم وتفرقهم وهذا مما حرم الله ورسوله»[١].

ولذا ينبغي على طالب العلم أن يكون همه معرفة الحق وليس همه الانتصار لمذهبه أو رأي شيخه، يقول الذهبي -رحمه الله- مقررا هذه النصيحة:

«ولا يكن همك الحكم بمذهبك، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، فإذا عملت بمذهبك في المياه والطهارة والوتر والأضحية، فأنت أنت، وإن كانت همتك في طلب الفقه والمراء والانتصار لمذهبك على كل حال وتحصيل المدارس والعلو فما هذا فقها أخرويا، بل هذا فقه الدنيا، فما ظنك تقول غدا بين يدي الله تعالى: تعلمت العلم لوجهك وعلمته فيك... فلا تعتقد أن مذهبك أفضل المذاهب وأحبها إلى الله تعالى، فإنك لا دليل لك على ذلك، ولا لمخالفك أيضا»[٢].

وقريب من المفاضلة بين الشيوخ؛ تفضيل إمام بعينه بكل ما يقول فإنه يثير العصبية، «لأنه من المعلوم أن كل طائفة ترجح متبوعها فلا تقبل جواب من يجيب بما يخالفها فيه، كما أن من يرجح قولا أو عملا لا يقبل قول من يفتي بخلاف ذلك؛ لكن إن كان الرجل مقلدا فليكن مقلدا لمن يترجح عنده أنه أولى بالحق، فإن كان مجتهدا اجتهد واتبع ما يترجح عنده أنه الحق ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها... لكن عليه أن لا يتبع هواه ولا يتكلم بغير علم... وما من إمام إلا له مسائل

(١) مجموع الفتاوى (٢٠/ ٢٩١).

(٢) زغل العلم (ص: ٣٥).

يترجح فيها قوله على قول غيره ولا يعرف هذا التفاضل إلا من خاض في تفاصيل العلم والله أعلم»[١].

وتكبر الطامة ويستشري التعصب إذا كان من الشيوخ؛ لأن تعصب الشيوخ ينعكس على الأتباع مضاعفا، وهذا ما قرره ابن تيمية -رحمه الله- بقوله:

«فالبدع تكون في أولها شبرا، ثم تكثر في الأتباع حتى تصير أذرعا وأميالا وفراسخ» فهكذا يكون تصرف أتباع الحق كالمتعصبين؛ مضيعة للحق وأصحابه، وقد حكي ابن الجوزي -رحمه الله- في تاريخه أنه «منع المحدثون من قراءة الحديث في جامع القصر وسببه أن صبيانا من الجهلة قرءوا شيئا من أخبار الصفات؛ ثم اتبعوا ذلك بذم المتأولين وكتبوا على جزء من تصانيف أبي نعيم اللعن له والسب فبلغ ذلك أستاذ الدار فمنعهم من القراءة»[٢].

ومن أسباب التعصب، وأخطرها؛ المناظرات العلنية؛ فإنها مدعاة للعصبية؛ يقول الشوكاني -رحمه الله-: «وكثيرا ما تجد الرجلين المنصفين من أهل العلم قد تباريا في مسألة وتعارضا في بحث فبحث كل واحد منهما عن أدلة ما ذهب إليه فجاءا بالمتردية والنطيحة على علم منه بأن الحق في الجانب الآخر وأن ما جاء به لا يسمن ولا يغني من جوع وهذا نوع من التعصب دقيق جدا يقع فيه كثير من أهل الإنصاف ولاسيما إذا كان بمحضر من الناس وأنه لا

(١) مجموع الفتاوى (٢٠/ ٢٩٣).
(٢) مجموع الفتاوى (٨/ ٤٢٥).

يرجع المبطل إلى الحق إلا في أندر الأحوال وغالب وقوع هذا في مجالس الدرس ومجامع أهل العلم»(١).

أما مظاهر العصبية؛ فليعلم طلاب العلم أن للعصبية شواهد يستدل بها على حال المتعصب، ومن أهما ما يأتي:

١- ستره الحق: فالعصبية تدعوا إلى كتمان الحق رغم ظهوره، ويحكي ابن تيمية -رحمه الله- عن هذا السلوك من بعض المتعصبين فيقول: «وتارة يكون قد خالف غيره في مسألة، أو اعتزي إلى طائفة قد خولفت في مسألة، فيكتم من العلم ما فيه حجة لمخالفه وإن لم يتيقن أن مخالفه مبطل»(٢).

٢- جعله الحق حجرا على إمام بعينه؛ فالتعصب يقصر الحق على إمام ويعمي البصر عما سواه، يقول العز ابن عبد السلام -رحمه الله-:

«ومن العجب العجيب أن الفقهاء المقلدين يقف أحدهم على ضعف مأخذ إمامه بحيث لا يجد لضعفه مدفعا ومع هذا يقلده فيه، ويترك من الكتاب والسنة والأقيسة الصحيحة لمذهبه جمودا على تقليد إمامه، بل يتحلل لدفع ظواهر الكتاب والسنة، ويتأولهما بالتأويلات البعيدة الباطلة نضالا عن مقلده، وقد رأيناهم يجتمعون في المجالس فإذا ذكر لأحدهم في خلاف ما وظن نفسه عليه تعجب غاية التعجب من استرواح إلى دليل بل لما ألفه من تقليد إمامه حتى

(١) أدب الطلب ومنتهى الأدب (ص: ٨٩).
(٢) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم (ص: ٧).

ظن أن الحق منحصر في مذهب إمامه أولى من تعجبه من مذهب غيره، فالبحث مع هؤلاء ضائع مفض إلى التقاطع والتدابر من غير فائدة يجديها، وما رأيت أحدا رجع عن مذهب إمامه إذا ظهر له الحق في غيره بل يصير عليه مع علمه بضعفه وبعده، فالأولى ترك البحث مع هؤلاء الذين إذا عجز أحدهم عن تمشية مذهب إمامه قال لعل إمامي وقف على دليل لم أقف عليه ولم أهتد إليه، ولم يعلم المسكين أن هذا مقابل بمثله ويفضل لخصمه ما ذكره من الدليل الواضح والبرهان اللوائح، فسبحان الله ما أكثر من أعمى التقليد بصره حتى حمله على مثل ما ذكر»[١].

٣- نصحه لغيره بالبعد عن أهل الحق؛ فمن علامات التعصب الظاهرة؛ التحذير من المنصفين، ولذا ذكر الشوكاني -رحمه الله- أن من علامات المتعصبين: «فرارهم عن علماء الإنصاف وطعنهم على من اتصل بهم أو أخذ عنهم وتحذيرهم للعامة وللطلبة عن مجالسة من كان كذلك وإخبارهم لهم بأن ذلك العالم سيضلهم ويخرجهم عما هم فيه من المذهب الذي هم عليه»[٢].

٤- تقديس أقوال العلماء؛ بتنزيل أقوال الرجال منزلة الشرع الحنيف، يقول الشوكاني -رحمه الله- في بيان ذلك: «تبين لك نفع ما أرشد إليه من تحري الإيمان الذي من أعظم أركانه وأهم ما يحصله لك أن تكون منصفا لا متعصب في شيء من هذه الشريعة

(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام (٢/ ١٥٩).
(٢) أدب الطلب ومنتهى الأدب (ص: ٨٧).

فإنها وديعة الله عندك وأمانته لديك فلا تخنها وتمحق بركتها بالتعصب لعالم من علماء الإسلام بأن تجعل ما يصدر عنه من الرأي ويروى له من الاجتهاد حجة عليك وعلى سائر العباد فإنك إن فعلت ذلك كنت قد جعلته شارعا لا متشرعا مكلفا لا مكلفا»[1].

٥- الدعوة إلى العداوة والفرقة بين أهل الفضل، وهذا مما تعجب منه الإمام الشافعي -رحمه الله-، حيث قال: «العلم بين أهل الفضل والعقل رحم متصل فلا أدري كيف يدعي الاقتداء بمذهبه جماعة صار العلم بينهم عداوة قاطعة»[2].

٦- المبالغة في قبول من يرضاهم من مشايخ ورفض من سواهم، فالتعصب غلو في القبول وغلو في الرد؛ يقول ابن تيمية -رحمه الله-:

«فمن ذمهم ولامهم على ما لم يؤاخذهم الله عليه فقد اعتدى ومن أراد أن يجعل أقوالهم وأفعالهم بمنزلة قول المعصوم وفعله وينتصر لها بغير هدى من الله فقد اعتدى واتبع هواه بغير هدى من الله ومن فعل ما أمر به بحسب حاله؛ من اجتهاد يقدر عليه أو تقليد إذا لم يقدر على الاجتهاد؛ وسلك في تقليده مسلك العدل فهو مقتصد»[3].

٧- إيجابه إتباع الأفضل وترك الفاضل، وهذا مخالفا لنهج

(١) أدب الطلب ومنتهى الأدب (ص: ٣٢).
(٢) ذكره الغزالي في الإحياء (١/ ٤٧).
(٣) مجموع الفتاوى (١٩/ ١٢٧- ١٢٨).

أهل العلم، يقول العز ابن عبد السلام -رحمه الله-: «لا يجب تقليد الأفضل وإن كان هو الأولى، لأنه لو وجب تقليده لما قلد الناس الفاضل والمفضول في زمن الصحابة والتابعين من غير نكير، بل كانوا مسترسلين في تقليد الفاضل والأفضل ولم يكن الأفضل يدعو الكل إلى تقليد نفسه، ولا المفضول يمنع من سأله عن وجود الفاضل وهذا مما لا يرتاب فيه عاقل»[1].

فإن سألت أيها القارئ الكريم عن المخرج من العصبية -بإذن الله جل وعز- يكون في العناية بالقواعد الآتية:

أولا: عدم العصبية لكتاب غير كتاب الله أو لبشر غير رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ يقول ابن القيم -رحمه الله-: «وأما المتعصب الذي جعل قول متبوعة عيارا على الكتاب والسنة وأقوال الصحابة يزنها به فما وافق قول متبوعة منها قبله وما خالفه رده، فهذا إلى الذم والعقاب أقرب منه إلى الأجر والصواب»[2].

ثانيا: اعتبار الشيوخ أدلاء إلى الحق؛ يقول ابن تيمية -رحمه الله-: «أئمة المسلمين الذين اتبعوهم وسائل وطرق وأدلة بين الناس وبين الرسول عليه الصلاة والسلام؛ يبلغونهم ما قاله ويفهمونهم مراده بحسب اجتهادهم واستطاعتهم»[3].

(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام (٢/ ١٥٩).
(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين (٢/ ١٦٣).
(٣) مجموع الفتاوى (٢٠/ ٢٢٤).

ثالثا: الاحتكام إلى فهم الصحابة الكرام؛ قال ابن تيمية -رحمه الله-: «مع أني في عمري إلى ساعتي هذه لم أدع أحدا قط في أصول الدين إلى مذهب حنبلي وغير حنبلي، ولا انتصرت لذلك، ولا أذكره في كلامي، ولا أذكر إلا ما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها، وقد قلت لهم غير مرة:

أنا أمهل من يخالفني ثلاث سنين إن جاء بحرف واحد عن أحد من أئمة القرون الثلاثة يخالف ما قلته فأنا أقر بذلك، وأما ما أذكره فأذكره عن أئمة القرون الثلاثة بألفاظهم وبألفاظ من نقل إجماعهم من عامة الطوائف»[١].

رابعا: إسقاط شهادات المتعصبين في مخالفيهم؛ فكثير ما تكون شهادات الناس في مخالفيهم ظالمة، يقول ابن تيمية -رحمه الله-:

«أنت تجد كثيرا من المتفقهة، إذا رأى المتصوفة والمتعبدة لا يراهم شيئا ولا يعدهم إلا جهالًا ضلالًا، ولا يعتقد في طريقهم من العلم والهدى شيئا، وترى كثيرا من المتصوفة، والمتفقرة لا يرى الشريعة والعلم شيئا، بل يرى أن المتمسك بها منقطعا عن الله وأنه ليس عند أهلها مما ينفع عند الله شيئا، وإنما الصواب أن ما جاء به الكتاب والسنة من هذا وهذا حق، وما خالف الكتاب والسنة من هذا وهذا، باطل»[٢].

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٢٢٩).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم (ص: ١٠).

هـذا توصيـف نافع، وعـلاج مانع؛ لخصلـة كانت حجـر الزاوية في تفريـق الجمـوع، وتمزيق الوحدة، وشـق الصف...

بقي أن أقول....:

اللهـم اجمـع كلمتنا ووحـد صفنـا، وبارك فـي علمائنـا، وآلف بين قلوبهـم، واجمـع على ما يرضيـك قلوبهـم، وأبدانهـم، وأعمالهم..

عقبولة:

❋ المعارك الفكرية مِلْحُ الحياة.

❋ المجاعة الفكرية فيروس التعصب.

❋ نحن يا الغالب صنيعة أفكارنا..

❋ الناضج هو المستقل بفكره.

❋ الاستقلال الفكري ضريبتهُ عالية جدًا.

❋ الـولاء للجماعـة والحـزب، والكرسـي من أعظـم الخذلات عن التطـور، والتطوير، والرقـي والترقي.

❋ الاستقلال بالتفكير مهنةُ العظماء.

صناعة التعصب

(1)

كنت في قاعة الدرس وأشرح للطلاب الأسباب الاجتماعية المؤثرة في القول الفقهي، في ضوء تاريخ الفقه الإسلامي، ومذاهبه، فتساءل طالب عن مسألة تدعم قولاً فقهياً يذهب إليه، فأجبته، فبدأ ينتحل المعاذير لإقناعي بما هو مقتنع به، ويكرس الأدلة، وأنا أناقشها معه، حتى وصلنا إلى أنه لا يحفظ كثير من الأدلة المقنعة، وطلبني مهلة للأسبوع القادم، ليستجمع قواه البحثية، فأمهلته، وقلت له، لكن بشرط يا ولدي، فقال لي: وما شرطك؟!!

قلت له: أن يكون الحق، والحقيقة هي الهدف، والموضوعية هي الآلة، والتخصص، هو الفيصل...

قال لي: لك ذلك...

ولمّا رجعت لمنزلي دار في خلدي البحث بجد في أسباب التعصب المذهبي، والتي تجعل، من الأقوال عند أصحابها معياراً للحق، والحقيقة، والمعيار هو النص المعظم المحفوظ من التحريف والتبديل.. وأجلت النظر في أسباب هذا التعصب، وآثاره، وعلاج ذلك، وجعلت هذه المقالة لبيان ما وقفت عليه من الأسباب، وسيأتي بحول الله وقوته في مقالة أخرى الآثار، ثم العلاج...

ويمكن تقسيمنا لأسباب التعصب المذهبي-الذي ساد في العصر الإسلامي- إلى أسباب أصلية، وأخرى فرعية، فالأصلية ترتكز في ثلاثة رئيسة:

أولها: عدم الالتزام الصحيح والكامل بدين الإسلام على مستوى المشاعر والأفكار والسلوكيات.

وثانيها: طبيعة العقائد والمقالات المكونة للمذاهب الفكرية الطائفية، فبعضها لها أصول صحيحة معتدلة، لا تبعث على التعصب الأعمى، كما في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعضها الآخر معظم أصولها باطلة متطرفة، تبعث على الغلو والتطرف والتعصب الأعمى، كمذاهب الطوائف المبنية على تعظيم الأشخاص أو الأقوال، أو الأفعال...

والثالث: يتمثل في ردود أفعال الأتباع المتمذهبين في تفاعلهم مع مذاهبهم المعتدلة منها والمتطرفة، فمن الطبيعي أنها تولد فيهم الرغبة للانتصار لها والدفاع عنها، والحميّة لها...

وأما الأسباب الفرعية؛ فمنها:

أولا: الدور السلبي الذي قام به العلماء المتعصبون، وقادة الفكر المتعصب، فهم الذين دعوا إلى التعصب المذهبي ونشروه، وشجعوا عليه وشاركوا فيه، فكانت أفعالهم هذه مشاركة سلبية أججت التعصب ولم تحدّ منه.

وثانيها: الموقف السلبي لكثير من الملوك والأمراء وأعوانهم

فـي التعامـل مـع ظاهـرة التعصـب المذهبي...

بل بعضهم وظفها توظيفاً...

وثالثهـا: الأعمـال السـلبية التـي قـام بهـا الوعـاظ المتعصبـون... وجهلـة الوعـاظ كذلـك...

والرابـع: هـو تمذهـب عـوام النـاس، فإنهـم لمـا تمذهبـوا تعصبوا لمذاهبهـم عـن جهـل وطيش، وعصبيـة عميـاء.. دون أي مبـرر علمي...

والخامـس: هو رواج أحاديـث ضعيفة وموضوعة بيـن المتمذهبين المتعصبيـن، فيهـا إقـرار لهـم علـى مـا هـم فيـه مـن اختـلاف وتدابـر وتنافـر...

بقي أن أقول...:

ألا نسـتطيع تجـاوز هـذه الأسـباب المؤثـرة فـي وحـدة الصـف، واجتمـاع الكلمـة...

فـي وهلـي نحن نملـك ذلـك ونسـتطيعه... لكن لازالت الأسـباب تؤثـر فـي بعضنـا دون أن يشـعر... خصوصـا، والأسـباب التـي ذكـرت أعـلاه؛ هـي أسـباب متجـذرة فـي تاريـخ المجتمعـات المسـلمة، وبيـن الطوائـف بعضهـا البعـض...

والتحيّـز للأحـزاب الفكريـة علـى حسـاب الموضوعيـة العلميـة أقـرب مثـال، وأشـهر دليـل...

دمتم بوئام، وود، ومحبة... وسلام...

من عاصمة السلام والوئام نجد...

عقبولة:

❋بعضهم محامي لكل قضية، ويخفق في قضيته هو.

❋ على قدر البيضة يكون صياح الدجاجة، وعلى قدر الفكرة يكون الاحتفال بها، كما يقرره مَنْ باض.

❋ الكثير مِنّا يحرصُ على معرفة الآخرين قبل معرفته لنفسه، والوعي بها.

❋ غرس العادات، أهم من تقويم السلوكات.

❋ للأسف؛ تنظيف المكان عندنا، أهم من تنظيف الوجدان.

❋ مشرط النقد مُعَدٌّ قبل ميدان الحوار، نقد إسقاط، وتهميش، ومصادرة..

❋ لستَ أكبرَ من أن تستفيد، ولا أصغر من أن تفيد.

بين سعد وبني سعد،
وإن شئت فقل: ثمارالتعصب الفكري

(2)

قـال لـي سـعد؛ فـي مجلس علمـي: مشـكلتك يـا دكتـور محمد لا تقتنـع إلا برأيك!!!

فقلت له: أنا!!!؟

قال: نعم، أنت...

ثم انهار تأنيباً، ولوماً، حتى غار في أعماق المقاصد والنيات.

فقلت له: إلى هنا... قف...

فقـد بدأت تتجـاوز كل خط فـي التقديـر والاحترام..، ومـن قواعد الحـوار؛ التحـاور بقيـم وأخـلاق العلـم، لا بقيـم البلطجـة الفكريـة، والإرهـاب المعنوي...، ووشـم المقاصد بالفسـاد، من أجـل رأي خالف رأيـك... يـا أخي سـعد...

ولمّـا خرجـت من تلكـم المعركة التي خسـرت بسـببها أصدقاء كثر مـن بني سـعد، وكان بعضهم من حطب الفتنة، واسـتعملهم الشـيطان في الغيبـة والنميمـة، والتحكـم فـي مقاصـد مخالفيهـم... أجلـت النظـر في أصـل المشـكلة، وإذا بها لا تجـاوز التعصب الفكري، والحيـز المذهبي،

الـذي أشـرت إلى أسـبابه في مقالـة خلت، فـكان لزاماً علي، بيـان الآثار، وأخطـر الثمـار نصحـاً للـه، ولرسـوله، ولأئمـة المسـلمين وعامتهم...، ولأخي سـعد... وبني سـعد.

أمـا الآثـار: فأشـير إلـى أثـر التعصـب الفكـري علـى الجانـب الاجتماعـي ومـن ذلـك:

أولاً: تفكك البناء الداخلي للمجتمع المسلم..

وثانيـاً: حـدوث فتن داميـة كثيرة، بيـن مختلف الطوائف المسـلمة، والتـي قتـل فيها خلـق كثير، ومن اسـتقرأ التاريـخ عرف..

وثالثـاً: كثرة الغلـو والتعصـب المذهبيين، وانتشـارهما في مختلف الأمصـار بطريقـة خانقـة للموضوعيـة، مصـادرة للحـق... فضـلا عـن تحزيـب المجتمعـات، وتحقيـب الأفـراد، إلا حقائب ممنهجـة فكرياً، لا تـدري فيمـا وضعـت، ولا لـم وضعـت، ولا أين يذهـب بهـا، وكل الذي تدريـه، أن هـذه الحقيبة الفكريـة، أو المذهبية هي الإسـلام الحق... وكم فـي هـذا من صـرف النـاس، عمـا ندبهـم إليـه، رب الناس جـل وعز...

ورابعـاً: ضعف ربـاط الأخـوة التي عززها الإسـلام وجعلهـا قائمة علـى الديـن، وحلول التعصـب الحزبي والفكـري والمذهبـي محلها..

وخامسـاً: انقسـام المتعصبيـن علـى أنفسـهم -حتـى فيمـا يخـص أصـول الديـن- إلـى طوائـف متنازعة، منهـا طائفـة تلتزم النـص، ظاهرا، وفهمـا..، علمـاً وعمـلا واعتقـاداً، ودعوة...

والثانيـة: طائفـة تقـدم المقاصـد، وتعلـل الأحـكام، وتعتنـي

بالحِكم... علما، وعملا واعتقادا، ودعوة...

هذه بعض الآثار على الجانب الاجتماعي...

وأما الجانب العلمي فهو أيضاً ترك فيه التعصب الفكري المذهبي آثاراً سلبية كثيرة وعميقة، منها:

أولاً: صبغ الحياة العلمية بصبغة التعصب الفكري و المذهبي في أصول الدين وفروعه، وأدى إلى اشتداد النزاع والتنافر بين مختلف المتخصصين في العلم.. مما أورث التحيز الأعمى، والتهارج الغير مبرر على أصحاب الأقوال الخارجة عن السياق بزعمهم..

وثانياً: أدى إلى كثرة الكذب في الأحاديث النبوية، والروايات التاريخية، انتصاراً للمذاهب والأفكار، ورداً على خصومها، وكفى بهذا الأثر مذمة، لأنه قتل للموضوعية المعرفية، ووأد لها في مهاد العلم... نعوذ بالله من الجهل..

ثالثاً: أوصل التعصب الفكري كثيراً من الطوائف المذهبية إلى اختصاص كل منها بمصادر مذهبية مغايرة لمصادر الطوائف الأخرى، بل ومستقلة عنها تماماً...

رابعاً: أوصل الغلاة المتعصبين إلى الانحراف في فهم القرآن الكريم، بإتباع الظن والهوى، والفهم وفق معطيات الطائفة فحسب..

خامساً: توظيف السنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، لخدمة الطائفة والحزب، والفكرة المذهبية، ولو لزم ذلك، ترك ما ثبتت صحته، والعمل بما ثبت ضعفه، بل وأكثر من ذلك،

وضع الأحاديث، والكذب فيها على نبينا صلى الله عليه وسلم، خدمة للحزب، والطائفة...

السادس: أدخل التعصب الفكري غالبية أهل العلم- خلال عصر التقليد والتعصب المذهبيين- في قوقعة الفقه المذهبي وكبلهم به، فعاشوا بعيداً عن العصر، وبعيداً عن التأثير، والتأثر، مما جعلهم في عزلة عن الواقع، أو قريبا من العزلة الفكرية...

هذه بعض الآثار العلمية النكدة، وأما الجانب السياسي فهو أيضاً تأثر كبيراً بالتعصب المذهبي و الذي ترك فيه آثاراً كثيرة وعميقة، منها :

أولاً: أن معظم الدول المسلمة المتمذهبة - خلال عصر التقليد والتمذهب- لم تكن عادلة في تعاملها مع الطوائف المخالفة لها، فكرياً، ومذهبياً، هذا في الغالب، والنادر لا حكم له، والتأريخ خير شاهد..، كان هذا في التعصب المذهبي، فكيف بالدول المتعصبة المتحزبة لقضايا فكرية فقط...

ثانياً: تمذهب تلك الدول ومشاركتها في نشر التعصب الفكري و المذهبي وتعميقه، أخذ منها أوقاتاً وجهوداً كثيرة في خدمة للتعصب؛ كان من الأولى صرفها في مجالات أخرى بناءة نافعة، في خدمة الإنسان، والتنمية ونحوه...

ثالثاً: تعصب تلك الدول جعلها تفشل في تعاملها مع مسألة التعصب الفكري والمذهبي بين الطوائف المسلمة علاجاً، وحلاً، فلا

هي وحدت بينها، ولا هي قضت على هذه الآفة...

قارئي العزيز... ولو دار في خلدك تساؤل، ألهذا التعصب من ثمرة إيجابية، أم ن ثمرته، مُرة، بالمرة...

فأقول، من باب العدل والإنصاف: نعم كانت للتعصب المذهبي والفكري إيجابيات، لكنها قليلة جداً بالمقارنة إلى ثماره السلبية الكثيرة، فمن إيجابياته:

-أنه دفع أتباعه إلى الجد والاجتهاد لخدمة مذاهبهم، فأنشئوا المؤسسات العلمية الكثيرة، وأنتجوا ثروة علمية كبيرة في أصول الدين وفروعه..، ولكنها لا تزال قاصرة عن أن تكون خادمة للإسلام بعامة...

-من إيجابياته أيضاً أن انتشاره وهيمنته على الحياة العلمية أدى إلى ظهور حركة اجتهادية مقاومة له، وهي وإن كانت ضعيفة ورجالها قلة، فإنها قد تصدت له بحزم وشجاعة...

وذهب روادها غرباء... ولو قامت الدول المسلمة بتبني ذلك الصد، لأثمرت هذه الجهود، فالله يزع بالسلطان، ما لا يزع بالقرآن...

هذه أبرز الآثار الإيجابية فقط...

وإن كانت عند تمحيص النظر، وربطها بالواقع، لا تعدو أن تكون سوى قالبٍ يخدم التعصب الفكري والمذهبي والحزبي...

بقي أن أقول... لصاحبي سعد... الذي بعث الفكرة، وجعلني أجيل النظر في آثار وثمار التعصب الفكري، والتحيز المذهبي....:

شكراً سعد...، على غضبة جعلتني أهرع للبحث، والمطالعة... وعلى الرحب والسعة يا عزيزي فإن الصدر يتسع لك... ولو كان قولك يختلف عن قولي، وموقفك، لا يتماهى مع موقفي.. أنت وبني سعد كلهم...

أدام الله علينا وعليكم فضله، ورزقنا العدل، والإنصاف، وفتح لنا مغالق العقول التي حجرها التعصب، ونوّر لنا البصيرة للسير إلى الله كما أراده الله جل وعز...

والسلام ختام...

وإلى مقال جديد في علاج جديد، ومؤثر، وجريء، لهذه الآفة الفكرية..

عقبولة:

❋ قوائم الشتائم الذاتية، والتي تحبط دولًا، نختزنها لأنفسنا، لمن نحب، للأسف.

❋ الأحجبة الكثيفة نحن من يصنعها بيننا وبين من نُحِبْ.

❋ البسطاء وقود المجتمعات، فهم من يحزنُ لك، وهم من يفرح بك، وهم من يقف ليصفق لك، أنت بدونهم، لا شيء، وتذكر إنما تنصرون بضعيفكم..

❋ القناعات الذاتية تكون أكبر الأقفال على الأفكار الجميلة، والجديدة على حدٍ سواء.

❋ نحن نستطيع، وبكل جدارة؛ أن نموت بالإسلام، ولكن لا نستطيعُ أبدًا أن نحيا به.

علاجات مقترحة لظاهرة التعصب الفكري والمذهبي

(3)

قال لي: كتبت عن أسباب صناعة التعصب الفكري والتحزب المذهبي، مقالاً كاملاً، ثم أردفته بمقال عن ثمار العصب الفكري والتحيز المنهجي، وآثاره، فلعلك أن تكون عند ظننا فتكتب لنا مقترحاً للعلاج، وأفكاراً للخروج من دوامة التحيزات المزعجة، والتي أشبه ما تكون بزوبعة في فنجان، كما يقول: شاكر رحمه الله... فأقول وبالله التوفيق سأقترح لعلاج ظاهرة التعصب المذهبي والفكري جملة من الحلول في مراحل ولعل الأولى أن نتفق على أمور:

أولها: إخلاص النية الصادقة لله جل وعز في طلب الحق.

وثانيها: الخضوع التام لأحكام الشرع المطهر.

والثالث: أن يكون مرجعنا في أفعالنا وأقوالنا، واعتقاداتنا وأحكامنا وخلافاتنا الشرع المطهر، المتمثل في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم الصحيحة.

والرابع: التعامل الإيجابي مع تراثنا الإسلامي -على اختلافه وتنوعه- بأن ننظر إليه نظرة شمولية متوازنة نافعة، بلا إقصاء ولا غلو.

والخامس: الحرص والسعي الجاد لإيجاد إرادة تغيير لدى ذوي الرأي والتأثير، بل والجماهير لتقبل مشروعاً عظيماً لمقاومة التعصب الفكري، والتحجر المذهبي.

السادس: إبعاد عامة الناس غير المتخصصين، عن التمذهب، والتحزب مطلقاً، -أصولاً وفروعاً-، لأن تحزبهم وتمذهبهم، يضر بهم وبالمجتمع بأسره.

وأما المرحلة الثانية فهي تتضمن مقترحات منها:

أولها: السعي الجاد لإيجاد فقه عام مُيسر خال من التعصب والتحيز للمذاهب، والأفكار والأشخاص قدر الوسع الممكن...

ثانيها: محاولة جمع المسائل الفقهية المختلف فيها، بل وبعض الأفكار التي قامت عليها ولاءات، بين العلماء والمذاهب، والأحزاب، وتحريرها تحريراً علمياً موضوعياً...

والثالث: العمل على إحياء منهج الأئمة الأربعة في الاجتهاد الفقهي القائم على الدليل، لأنهم يشكلون مدارس في فهم النصوص، بأدوات صحيحة تحسن التعامل مع النصوص، وتفعيلها بما جاءت به الشريعة..

والرابع: الحرص على تربية أهل الفكر وأهل العلم على الاجتهاد الحر وحثهم عليه..

وأما المرحلة الرابعة **فأول** ما فيها: إثبات كل صفات الله وأسمائه، المذكورة في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة

بـلا تأويـل ولا تحريـف، ولا تمثيـل ولا تعطيـل، مـع فهمهـا والنظر إليهـا انطلاقـاً مـن قولـه جـل وعـز: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشـورى:١١].

وثانيـه: التخلـي نهائيـاً عـن التأويل الكلامـي الذي يصـرف المعنى الظاهـر الراجـح للآيـات إلـى معنـى آخـر مرجـوح، كتأويـل الاسـتواء بالاسـتيلاء، ونحـو ذلـك...

وأمـا المرحلـة الأخيـرة فتتعلق بانقسـام أمة الإسـلام بعامـة، **وأول** العلاجـات؛ هـو توحيـد مصـدر التلقـي بيـن تلـك فـرق، والطوائـف المسـلمة..

وثانيهـا: عـرض مبـادئ كل طائفـة علـى القـرآن الكريـم، وصحيح السـنة النبويـة، بطريقـة علميـة صحيحـة، بـلا تأويـل ولا تحريـف، فمـا وافـق القـرآن والسـنة قبلنـاه ومـا خالـف رفضنـاه وتركناه.

والثالـث: هو عـرض الكتب الحديثـة - التي عند الفـرق والطوائف والأحـزاب- علـى القـرآن الكريـم، وعلى منهاج سـلف الأمـة، في تلقي السـنة النبويـة المطهرة، وفـق منهج علمي صحيـح، رصين...

وما صح أُخِذ، ومارُد ترك..

والرابـع: عـرض رواياتنـا التاريخيـة المتعلقـة بتأخـري المذاهـب، والأفـكار، والأحـزاب الفكريـة ورجالهـا، علـى منهـج علمـي صـارم صحيـح لتمييـز صحيـح تلـك الروايـات مـن سـقيمها، فنعرضهـا علـى القـرآن الكريـم أولاً، ثـم علـى السـنة النبويـة الصحيحـة ثانيـاً، وعلـى

الثوابـت والمتوتـرات التاريخيـة ثالثـاً.

والخامـس: علـى أتبـاع المذاهـب وأربـاب الطوائـف، وقـادة الأحـزاب، أن يوطنـوا أنفسـهم ويهيئوهـا لتقبـل الحـق والحقيقـة التـي سـيخرج بهـا التحقيق العلمي الدقيـق، للمذاهب، والأفـكار، والأحاديث والروايـات التاريخيـة...

بقي أن أقول...:

هـذه العلاجـات محاولـة نظريـة، لـن تقـوم لهـا قائمـة حتـى نقتنع تمـام الاقتنـاع بالمرحلـة الأولـى، والمحاولـة الأساسـية كما أشـرت في أول المقالـة...

دمتم بخير وعافية، وأُلفة...

جمع الله القلوب...

وعصـم الأرواح، وأقـام في أنفسـنا قائـم الحق، وحبـب إلينا الحق، والحقيقة، ويسـرها لنا، ويسـرنا لها...

والسلام يا كرام يغشاكم... أنتم ومن خالفكم...

عقبولة:

❊ غالـب مواقفنـا الثقافيـة مجرد بـراءة ذمة، وراحة ضمير، وليسـت نابعـة من قناعـات، ولا بحـث علمي، أو تحـري للحق فقط.

❊ للأسف، أن العيب هو فقط؛ ما لا نحبهُ..

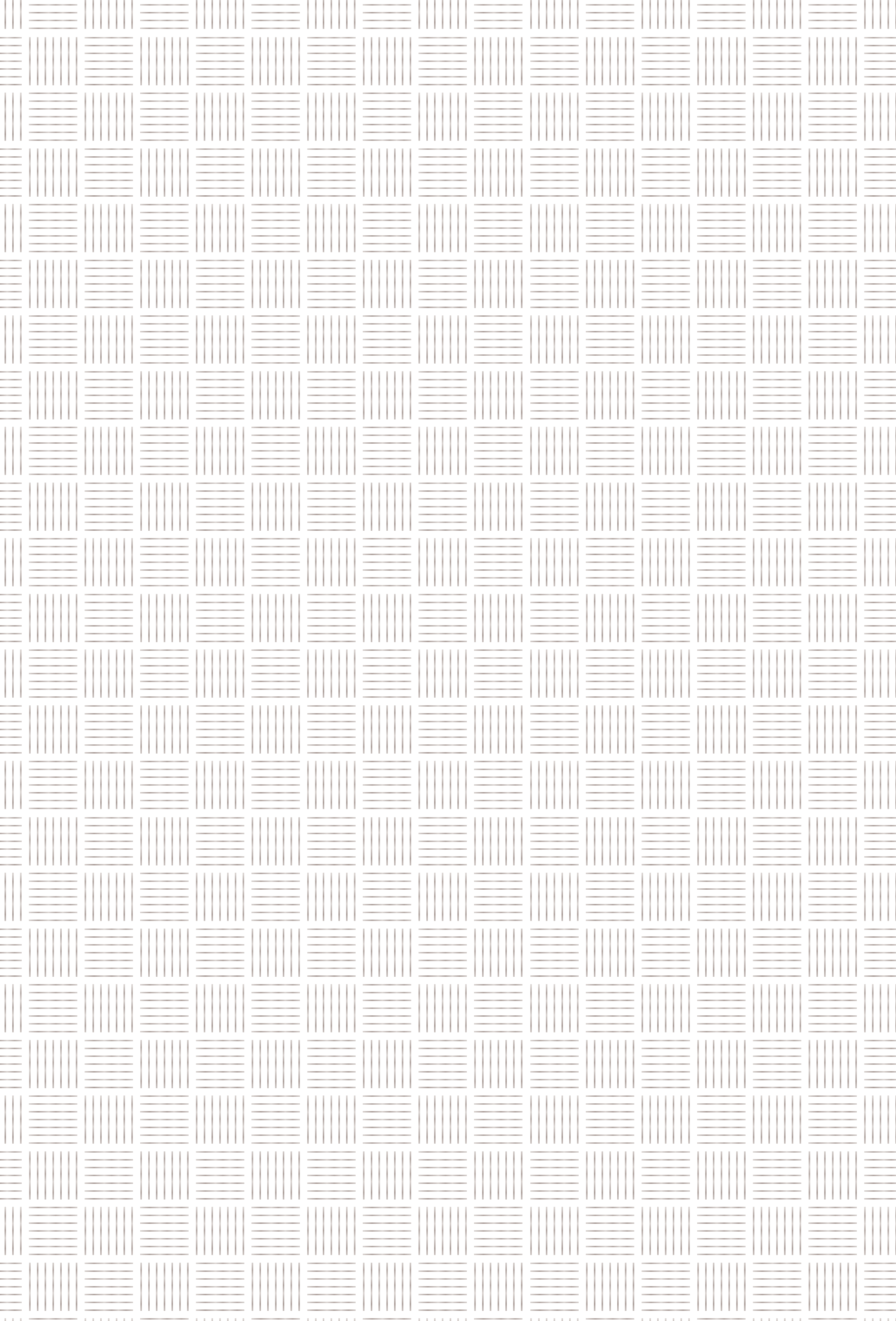
أما ما نحبُه فسنجد له ألف مبرر..

❁ التهـم المعلبـة تحملهـا يـد المجاهـل دون التبريـر، أو الذمـة والضميـر.

❁ أليس العلم هو الرخصةُ من الثقة، فإن التشديد الكلُّ يحسنهُ.

❁ التشـدد فـي المحافظـة علـى شـيءٍ مـا، هـو مفتـاح التخلـي عن ذلكـم الشـيء، فعليكـم بالتـوازن.

❁ لا تنـس أن الدمعـة، والسـجدة، والصدقـة، والدعوة، قد تسـجل فـي قائمـة ذكرياتـك الحِلوة، فيمـا بينك وبيـن ربك.



الفكرة السوداء

الغالي يعيش وحدة روحية ويسير على خط فكري واحد... ويستلهم الغربة الفكرية في كل لحظة ولفظة... فإذا رأى شيئا من الأنس... هزه الغلو إلى نظرية المؤامرة فطارت به... نحو الاستعلاء اليقيني ليحاول أن يستلهمه في حياته، فتعجز راحلة التجربة والعلم، ويضعف الشرط فيه ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ فيكون حجابا حاجزا عن سماع الحق، أو حتى قبوله، بل ينتقل الأمر للطعن في مقاصد كل مصلح يسعى لكشف ستار الغلو عن عين الغالي، وأنه...، وأنه... مما يورده الشيطان على ذهن الغالي ليبقى حبيسا في قعر فكرته السوداء.. وقد كانت هذه رؤيتي من زمن، وجمعتني الأيام بأصناف من الناس؛ نالوا حظا من الخلطة السوداء؛ الغلو، وقليل من الاستعلاء المخل، مع ضعف تدين، وقلة علم، وعاطفة مشبوبة على صفيح ساخن... فتعلمت من هذه اللقاءات تجارب ودروسا... ومن ذلك أن تفويت الفرص على الخصوم من الذكاء والفطنة، ولا يظهر لي أن هذا ملتفت إليه، فأحببت الإشارة إليه لعظيم أثره في العلاج الناجع والدواء النافع لظاهرة الغلو والتطرف في المجتمعات المسلمة بل هو هام لقطع مادة الغلو من نفوس معتنقيه أو على الأقل محاولة تجفيف منابع الغلواء في نفوس المغالين، وإمكانية تحييدهم فالمجتمع هو أحد مسئولين أيضا..

ويكمن العلاج في:

أولا: عـلاج أثر ظهـور المعاصـي والمجاهرة بها في ظهور مشـكلة الغلو فـي المجتمعات:

وعلاج ذلك في أمور:

أوْلهـا: الدعـوة إلـى اللـه جـل وعـز وتيسـير شـأنها، وفتـح أبواب الإصـلاح الاجتماعي، وإذا اسـتخدم عـلاج الدعوة بالحسـنى والموعظة الحسـنة كان ذلـك مؤثـر جـدا في خفـض الضغط النفسـي عنـد أصحاب الفكـرة الغاليـة حيث يشـعرون في ظـل حنوّ العلمـاء الراسـخين و الدعاة الناصحيـن عليهـم بأنهـم مـع أنـاس يشـاركونهم آمالهـم، ويشـاطرونهم آلامهـم، ونشـر الدعـوة إلـى الفضيلـة باعتـدال يقطـع دابـر الفتـن، فـإذا انتشـرت الدعـوة إلـى اللـه باعتـدال فإنـه يرجـى أن تثمر مـا يأتي:

١- فـي وجـود الدعوة إلى الله ونشـر الفضيلة سـبب في ردع بعض النـاس مـن انتهاج منهـاج الغلـو والعنف فـي التغييـر لبعـض المنكرات، فـلا يكـون التغيير والإنـكار إلا بالتي هي أحسـن.

٢- أن فـي ذلـك تفويت الفرصة على أصحاب الأفـكار الضالة التي تتبنـي منهـج أهـل البدع مـن الخـوارج ونحوهـم، فـلا يصلـوا بأفكارهم إلـى شـباب تدفعهم الغيـرة، والحمية الصادقـة، ويحركهم حـب الله جل وعز.

٣- إذا ظهـرت الدعـوة إلـى اللـه ونشـرت الفضيلـة، فإنهـا تزاحـم انتشـار الأفـكار الغاليـة، بـل وتعالجهـا إن وقعـت.

٤- فـي الدعـوة إلى الله شـغل لفئـة عمرية خطيرة هي فئة الشبـاب، حيـث يكرسـون جهودهم في طلـب العلم وتلقيـه عن أهل الرسـوخ فيه، ومـن ثَـمّ المشـاركة في مناشـط الدعـوة إلـى اللـه، وتعليم النـاس، وهذا فيه حسـم لمادة الغلـو أيضا.

٥- مراعـاة أنـه كلمـا ضعفت الدعـوة إلى اللـه وإلى نشـر الفضيلة والاعتـدال قويـت فئـة الغلو، وانغلـق مفتاح العقـل بالعصبية عـن الحق.

٦- أن فيـه إضعـاف لأهـل المجاهـرة بالسـوء، لأنهـم يناصحـون بالحسـنى دائمـا.

ويزاحمـون بـالآداب الشـرعية. وأمـا عـلاج مـا يحدثـه تـرك الأمر بالمعـروف والنهـي عـن المنكـر علـى ظهـور مشـكلة الغلو:

الأمـر بالمعـروف والنهـي عـن المنكـر مـن أعظـم مـا نـدب إليـه الشـارع الحكيم، ومـا ذلك إلاَّ لما فيـه من صلاح المجتمعـات والأفراد، فالأمـر بالمعـروف إذا قـام حَصّـن المجتمعـات مـن الانحرافـات سـواء العقديـة أو السـلوكية، الجافيـة، أو الغاليـة، فهـو علـى الجافـي والغالـي سـواء بسواء.

وهذه مسائل بهذا الأمر:

١- فـي ترك الأمـر بالمعروف والنهـي عن المنكر يحـدث ردة فعل ممـن تؤرقهـم كثـرة المعاصي فـي المجتمعـات، وتذيـب قلوبهـم الغيرة فـي سـبيل الحق والفضيلـة، وهم قد لا يفقهـون الأحـكام الخاصة بالأمر بالمعـروف والنهـي عـن المنكـر، فيطلقـون أحكامهـم المغاليـة علـى

المجتمعات وعلى العصاة، أو يقومون بالإنكار بطريقة منكرة شرعا.

٢- قد يقول المغالي: إن الأمة لم تتصدى لهذه المنكرات لتغييرها، فأقوم أنا بالتصدي، وهو لا يحسن؛ وإنما تدفعه الغيرة فحسب، وهذا ناتج عن تقصير المختصين في قيامهم بواجبهم.

٣- الغلو هو منكر من المنكرات، ولذا لزم الاحتساب عليه، من العلماء، والأمراء الذين يقومون بشأن عامة الناس... وما خرجت الخوارج إلا بالغلو في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٤- مراعاة أحوال أهل الغلو، فإنهم ليسوا على درجة واحدة، فمنهم الداعي إلى فكرته، ومنهم غير الداعي إليها، ومنهم المنافح عنها، ومنهم المتبني الصامت لها، ومنهم المقاتل دونها، ومنهم دون ذلك، فيحتسب على كل بحسبه.

بقي أن أقول:

هذه المعالجة تحتاج لحلم وعلم وحزم، مع بيان المقصد منها، في تحسين حالة المجتمع، من أن يكون مجتمعا قابلا للاستفزاز، إلى أن يكون مجتمعا متوازنا في ردود أفعاله، منضبطا فيها بمفاتيح الشرع القويم... وفق الله الجميع لصلاح النية والعمل وصلى الله وسلم على نبينا محمد بن عبد الله وآله وصحبه ومن والاه..

عقبولة:

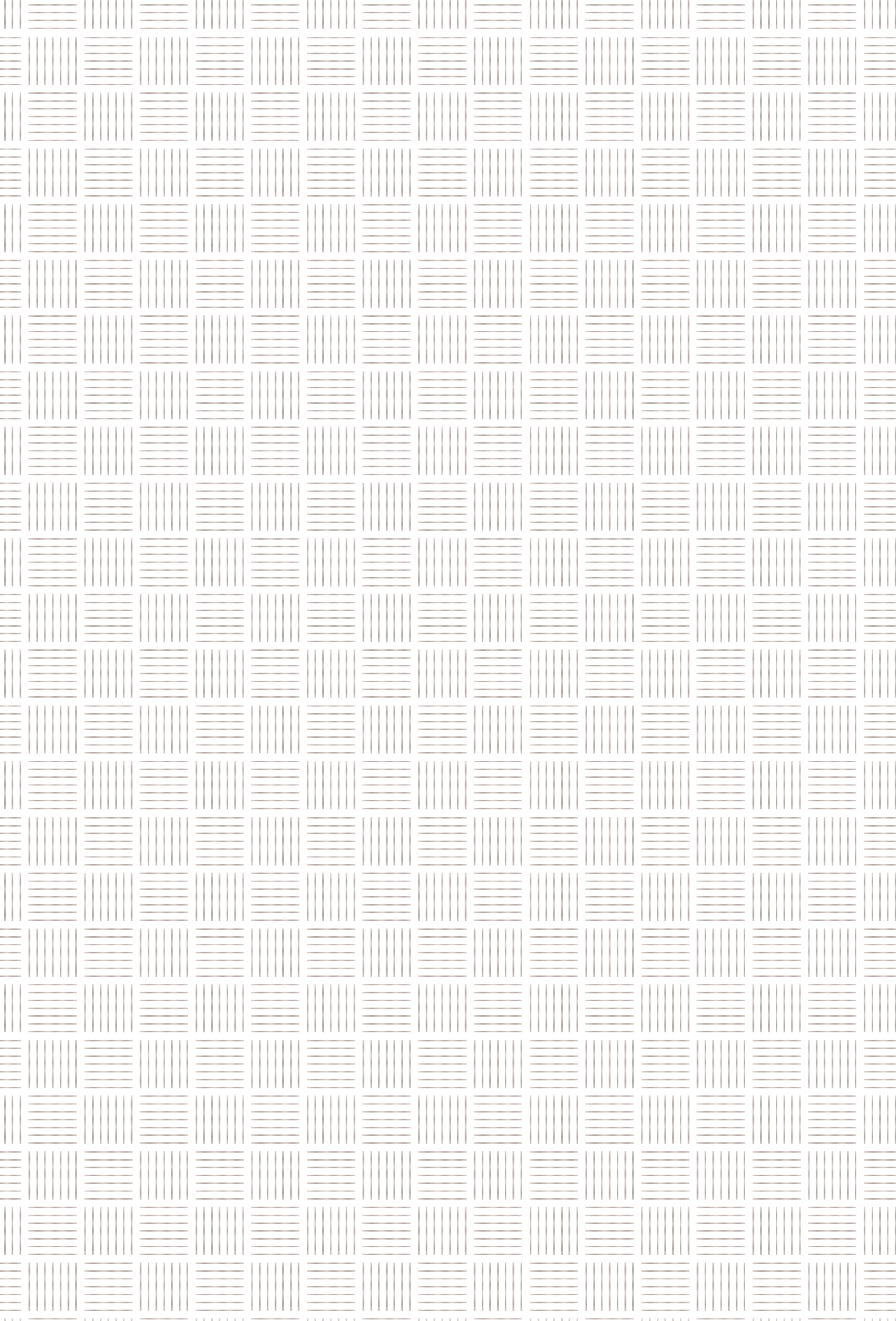
* من أدب الزمان؛ أن تعرف مكامن التوتر في حياة مليئة به، فتتجنبها؛ وتروض نفسك على ذلك ما اسطعت إلى ذلك سبيلاً.

* مـن أدب الزمـان؛ الموازنـة بيـن الجانـب العلمـي والجانـب الروحـي فـي ذواتنـا.

* مـن أدب الزمـان؛ ترغيـب النـاس فـي الإسـلام النقـي مـن كل الشـوائب، وتعليـق النـاس بـرب النـاس جـل وعـز.

* مـن أدب الزمـان؛ ربـط أهـل المعرفـة بالتخصـص، والإتقـان، فذلـك مفتـاح توهيـج العلـوم، وركيـزة المعرفـة.

* من أدب الزمان؛ تنمية روح المسئولية، والالتزام.



((الخبز العالمي))
((الغلو))

الغلـو عالمـي النزعـة فليـس في ديـن بعينـه ولكنه غربي وشـرقي.. وعنـد أهل الأديـان قاطبة... ومما لاشـك فيه أن جماعـات الغلو تكونت مـن أفـراد اتفقـوا فـي الأفـكار والـرؤى والأطروحـات والمواقـف، مما شـكل بينهـم إتحـادا في الفكـرة، وشـبه إتحاد فـي التعامل مـع الخصوم، فأصـل كل جماعـة مغاليـة هـو.. فـرد غالـي؛ ولـذا ونجـد أنـه مـن الهام إبـراز بعض الأسـباب الشـخصية للفرد المغالـي، والسـمات الذاتية له... لبيـان بعـده عـن منهـج الإسـلام وكلمـا زاد بعـدا زاد ضـلالا.. ومنهـا ما يلي :

(أ) ضعـف العلـم الشـرعي المؤصـل بالدليـل والتعليـل؛ بـل لـو قلـت: الجهل لمـا كنت عن الحقيقـة بمعزل، ومفاتيحه عند الشـخصيات المغاليـة ظاهـرة منها:

١ – عـدم الأخذ عن العلماء الراسـخين فـي العلم والكبـار فيه. قال ابـن سـيرين –رحمـه اللـه–: «إن هذا العلـم ديـن فانظروا عمـن تأخذون دينكم»[١].

٢ – تطبيـق فتـاوى صـدرت مـن العلمـاء الراسـخين وأقـوال بعض

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ١٤).

السلف على واقع يختلف معها ومع ملابسات صدورها في وقتها ومن ثَمّ، جعل هذه الفتاوى والأقوال قواعد للانطلاق منها في الفهم مع تيقننا بعدم معصومية السلف والخلف، حاشا رسول الله - صلى الله عليه وسلم-.

٣- عدم التفريق بين التكفير العام، وتكفير المعين والبعد عن منهاج أهل الحق في ذلك.

(ب) التعصب والتحيز، وهو من أوصاف الضعف والجهل، ومن خصاله أنه يعمي العقل عن الفهم.

وهو أيضا: الانكفاء على الفكرة والجماعة وإضفاء المعصومية عليها دون ما شعور، حتى لا يكون الحق إلا في قول المتعصب المتحيز وفي جماعته فحسب.

وهذا فيه ما فيه، من عدم الاستعداد لسماع المخالف والذي قد يحمل شيئا من الحق، وفيه أيضا حدة في الطباع يورثها التعصب والتحيز واستشعار المظلومية؛ على المخالف مما قد يكسبه الفجور في الخصومة، وعدم قبول الحق ممن جاء به، وفيه إعطاء النفس الحق في الخوض في أمهات المسائل والاعتذار للمخطئ منهم بأنه بين أجر وأجرين، ومع ذلك فلا يقبل رأي أحد سواه فيما يحكم به، وهذا هو الهوى بعينه.

(ج) الحماس المتهور وغير المنضبط، فالغيرة لله جل وعز عبادة، والغيرة على محارم الله؛ أن تنتهك قربة، والمؤمن يغار أن

تنتهك حرمات الله، لكن لا يدفع المؤمن الغيرة على محارم الله للوقوع في محارم الله أيضا، لأن العقل المتحمس والذي تقوم العاطفة فحسب بتوجيهه لا يحسب مآلات الأمور ولا عواقبها، ولا غيرة إلا في ريبة كما جاء في الأثر، ولعل أكثر من يقع في هذا السبب هم الشباب، لوجود دوافع النشاط ودواعي الحمية، وغيرها من الدوافع، والواقع شاهد على ذلك، ولقد اتفقت نتائج دراسات وبحوث كثيرة على أن مرحلة الشباب هي المرحلة التي يظهر فيها أكثر مما عداها الشعور الديني لدى الفرد، وحين يفتقد الشباب التربية الرشيدة والقدوة الصالحة؛ أو يتعارض ما يتلقاه في المدارس أو في الحياة مع الشريعة ينتقل إلى ألوان من الشك والاضطراب، سائقة إلى نوع من الانحراف الديني، ومن ذلك الوقوع في الغلو، ويكون هذا مساقة إلى الاستعجال.

ومجمل معنى الاستعجال هو: أن يظهر الله دينه، وأن يمحق الكافرين. قال جل وعز: ﴿ خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖ ﴾ [الأنبياء:٣٧]، قال ابن كثير -رحمه الله-: «والحكمة في ذكر عجلة الإنسان هاهنا أنه لما ذكر المستهزئين بالرسول، صلوات الله وسلامه عليه، وقع في النفوس سرعة الانتقام منهم واستعجلت، فقال الله تعالى: ﴿ خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖ ﴾؛ لأنه تعالى يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، بل يؤجل ثم يعجل، وينظر ثم لا يؤخر؛ ولهذا قال: ﴿ سَأُوْرِيكُمۡ ءَايَٰتِي ﴾ أي:

نقمي وحكمي واقتداري على من عصاني، ﴿فَلَا تَسۡتَعۡجِلُونِ﴾»[1].

ولا شك أن أسباب الاستعجال كثيرة منها:

١- شيوع المنكرات.

٢- شدة البلاء والظلم.

٣- العجز عن تحمل مشاق طريق الإصلاح والحق.

٤- عدم إطاعة الناهين عن المنكر.

٥- عدم فهم نصوص الجهاد فهما سليما والاستشهاد بها في غير مواضعها.

٦- البعد عن ذوي الخبرة والتجارب.

٧- طبيعة النفوس المجبولة على العجلة.

فإذا اجتمع هذا الاستعجال على حماس لم ينضبط وزاد عليه التعصب والانغلاق، وصاحبه الجهل، فقد استحكمت أسباب الغلو على هذه الشخصية... بقي أن أقول: علاج هذه الأسباب مسؤولية الجميع، آباء، أمهات، علماء، أطباء، مربون، رجال أمن... الجميع شركاء في العلاج..

حمانا الله وإياكم من الزلل، ونسأل الله لناولكم الهدى والرشاد، وفق الله الجميع لصلاح النية والعمل وصلى الله وسلم على نبينا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه..

(١) تفسير ابن كثير (٥/ ٣٤٣).

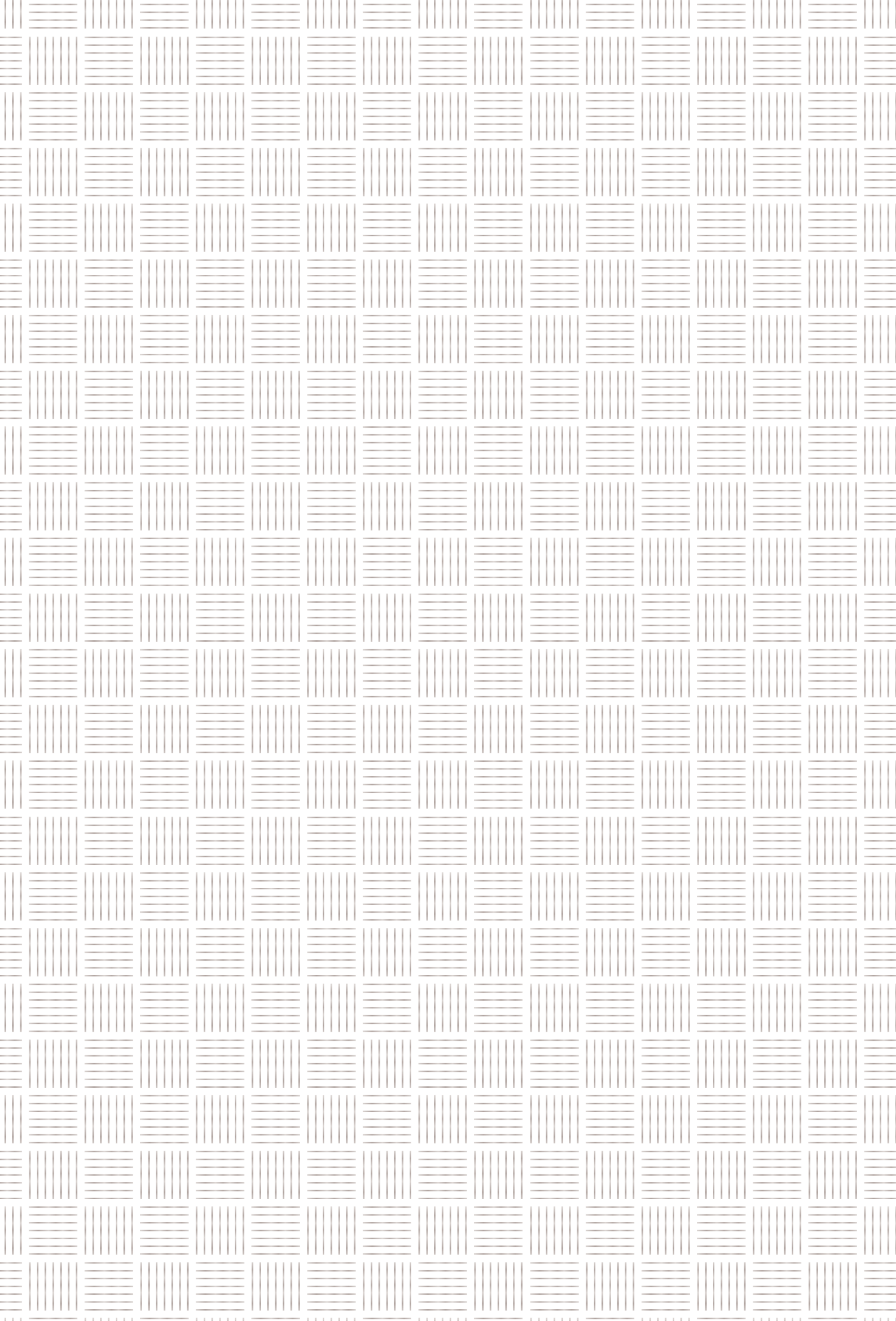
عقبولة:

❋ نحــن في الغالب مــن يقتل مشــاريعنا المعرفية فــي مهدها، حينما نســتجيبُ للملل من بدايــة الطريق.

❋ إذا ضعـف تبنـي الأفكار في حياتنا، وضعفت مناقشـتها، والحوار حولها، ضعـف النجاح والتجديد.

❋ للأسـف، نحـن لا نتعلـم كثيـرًا مـن تجاربنا، بـل نكـرر الأخطاء بعينها .

❋ من يرتكب غلط لا يصلحه، كأنما ارتكب غلطًا مضاعفًا.



((الخبزالعالمي))
الجزء الثاني
((الغلو))

الحمـد للـه رب العالميـن وبعـد.. فالمجتمعـات لهـا دور فعال في تكون شـخصيات أفرادهـا...؛ من حيـث التوازن من عدمـه، ونحو ذلك، والباحـث في الأسـباب المجتمعيـة لظاهرة الغلـو... والتي أسـهمت في دعـم ظاهـرة الغلـو بيـن الأفـراد، والجماعـات يجـد أنهـا متعـددة، ومن أهـم هذه الأسـباب، مـا يأتي:

أولا: ظهـور المعاصـي والمجاهـرة بهـا فـي المجتمعـات: وظهور المعاصـي منكـر وخطيـر فكيـف بالمجاهـرة بهـا قـال اللـه جـل وعـز: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا ﴾ [الأنعـام: ١٢٣] وقـال جـل وعـز: ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا ﴾ [الإسـراء:١٦].

والمترفـون فـي كل أمـة هـم أكابـر النـاس، وأهـل التنعـم والتسـيد والتريـس، والآيـات تبيـن سـنة اللـه الكونيـة فـي هـؤلاء، وأنهـم؛ إن لـم يُؤخـذ علـى أيديهـم هلكـوا، وأهلكـوا، قـال -صلى اللـه عليه وسـلم-: «والـذي نفسـي بيده لتأمـرن بالمعروف ولتنهـون عن المنكر أو ليوشـكن اللـه أن يبعـث عليكـم عقابـا منـه ثـم تدعونه فلا يسـتجاب لكـم»[1].

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٤/ ٤٦٨)، برقم (٢١٦٩)، وأحمد في مسنده (٣٨/ ٣٣٢)، برقم (٢٣٣٠١).

فيخرج أهل الإشفاق على الأمة محذرين لها من مغبة المعاصي والمجاهرة بها، فلا يستجاب لهم، أو يتعرضون لعقاب، أو يستهزأ بهم، فلا يغيرون، وليس التغيير مقصودا؛ أكثر من إقامة الشعيرة في الأمر والنهي، مما يورث ردود أفعال مكبوتة ممنوعة من نشر الفضيلة، والذب عن أعراض الناس مما يورث الاحتقان في المجتمعات فيُفرَّخ جيل لا ينكر إلا بالسلاح والقهر والقوة؛ مما يجعل الغلو يتسرب إلي قلوب الوادعين... كل ذلك بسبب التأخر في علاج المنكرات الظاهرة.

ثانيا: ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

«والمعروف: كل ما كان معروفا فعله، ففعله جميل مستحسن غير مستقبح في أهل الأيمان بالله، وإنما سميت طاعة الله معروفا؛ لأنه مما يعرفه أهل الإيمان ولا يستنكرون فعله»[1].

«وأصل المنكر: ما أنكره الله، ورأوه أهل الإيمان؛ قبيحا فعله، ولذلك سميت معصية الله منكرا؛ لأن أهل الإيمان بالله يستنكرون فعلها ويستعظمون ركوبها»[2].

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من خصال أهل الإيمان الحق بالله الحق جل وعز، ولقد أثنى الله عليهم في كتابه في غير ما آية فقال عنهم: ﴿...ٱلْـَٔامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ...﴾ [التوبة: ١١٢] فقد وصف الباري جلَّ وعزَّ في

(١) تفسير الطبري (٧/ ١٠٥).

(٢) المرجع السابق نفسه.

هـذه الآيـة خـواص عباده أهل البشـرى بهـذه الصفـات العظيمـة، كما أن الأمـر بالمعـروف والنهي عن المنكر سـبب من أسـباب خيريـة هذه الأمة فقـد قال الله جـل وعـز: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ... ﴾ [آل عمران:١١٠].

«وذلـك لأن صـلاح المعـاش والمعـاد إنمـا يكـون بطاعـة اللـه تعالـى وطاعـة رسـوله -صلـى اللـه عليـه وسـلم- وذلـك لا يتـم إلا بالأمـر بالمعـروف والنهـى عـن المنكـر، وبه صـارت هذه الأمـة خير أمة أخرجـت للنـاس»[١].

وقـد أجمعـت الأمـة علـى وجـوب الأمـر بالمعـروف والنهـى عن المنكـر كمـا نقـل ذلـك النـووي - رحمـه اللـه- فقـال: «قد تطابـق على وجـوب الأمر بالمعـروف والنهى عـن المنكـر الكتاب والسـنة، وإجماع الأمـة»[٢]، وقـال الإمـام ابـن حزم-رحمـه اللـه-: «اتفقـت الأمـة كلهـا علـى وجـوب الأمر بالمعـروف والنهـى عن المنكـر بلا خـلاف من أحد منهم»[٣].

وبتـرك هـذه الخصلـة العظيمـة في الأمـة وفـي خيرتهـا يحصل في المجتمعـات شـيء مـن الابتعـاد عن معالـم الرسـالة ويحصل مـن الفتن الشـيء الكثير مما يـورث المجتمع المسـلم ألواناً من الانشـقاق والتفرق بيـن راضي مسـالم مداهـن، وبين منكـر بعنف، وغاضب علـى المجتمع،

(١) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية (١/ ٩٤).
(٢) شرح النووي على مسلم (٢/ ٢٢).
(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ١٣٢).

وغال في ردود أفعاله، وبين معتدل مصلح متوسط، فيكون ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبباً من أسباب إيقاد جمرة الغلو عند المتحمسين للإنكار والتغيير للمنكرات، بل يزداد الأمر فظاعة بتجهيل المجتمعات ومن ثم تكفيرها.

قال ابن تيمية -رحمه الله-: «وليس لأحد أن يزيل المنكر بما هو أنكر منه مثل أن يقوم واحد من الناس يؤيد أن يقطع يد السارق ويجلد الشارب ويقيم الحدود، لأنه لو فعل ذلك لأفضى إلى الهرج والفساد»(١).

ثم إن الغلو في هذه المواقف هو منكر من المنكرات التي صرح بها القرآن الكريم قال جل وعز: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ [النساء: ١٧١]، وعن أنس ابن مالك -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كان يقول: «لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم»(٢).

ثالثا: معالجة فشو المنكرات بطريقة صحيحة، فعلاج فشو المنكرات بطرق خاطئة مفتاح للغلو أيضا، وإن المنكر إذا انتشر استوجب العلاج بالطرق الشرعية اللائقة به، وكل منكر بحسب زمانه ومكانه ونوعه يكون علاجه، لكن نجد أن العلاج العام لفشوا المنكرات يتحقق بما يلي:

---

(١) المستدرك على مجموع الفتاوى (٣/ ٢٠٣).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٤/ ٢٧٦)، برقم (٤٩٠٤).

١- نشـر العلـم الشـرعي، الـذي في نشـره تحصين للأمـة من خطر المنكـرات العقديـة والسـلوكية، والعلـم يجلـو العمى عن قلـب صاحبه، فيعـرف الحق مـن الباطـل، والعلم الشـرعي يزيـد المؤمن خوفا ووجلا وخشـية مـن اللـه -جـل وعـز- ممـا يوقـظ ضميـر المؤمـن ويقيـه مـن الوقـوع فـي المعاصـي والمنكرات.

٢- نشـر فضـل الأمـر بالمعـروف والنهـي عـن المنكـر، وإظهـاره ودعمـه رسـمياً وفردياً وتنظيمه؛ ليكـون أطول عمـراً في البـلاد، وأعمق أثـراً؛ ممـا يبيـن مزية هـذه الشـعيرة ويحوطهـا صيانـة وحفظاً..

٣- البرامـج التثقيفيـة العامـة، للنـاس ممـا يبيـن الأخطـاء العقديـة والسـلوكية التـي قـد يقـع الفـرد فيها...

٤- نشـر ثقافـة الحـوار لامتصـاص رؤى الجيـل واحتـواء أزماتهم قبـل تعمقها.

٥- نشـر روح الأخـوة الإسـلامية بيـن النـاس؛ فينصـح النـاس بعضهـم بعضـاً بلطـف، ويأمـر بعضهـم بعضـاً بإحسـان، وينهـي بعضهم بعضـاً، بشـفقة فـي ضـوء مـا تتيحه لهـم الشـرعية الإسـلامية الشـاملة...

ثم بقي أن أشير إلى علاج الأسباب المجتمعية لظاهرة الغلو:

أولا: عـلاج أثر ظهـور المعاصـي والمجاهرة بها في ظهور مشـكلة الغلو فـي المجتمعات:

وعلاج ذلك في أمور:

أوْلهـا: الدعـوة إلـى اللـه جـل وعـز وتيسـير شـأنها، وفتـح أبواب

الإصـلاح الاجتماعي، وإذا اسـتخدم عـلاج الدعوة بالحسـنى والموعظة الحسـنة كان ذلـك مؤثـر جـدا في خفـض الضغط النفسـي عنـد أصحاب الفكـرة الغاليـة حيث يشـعرون في ظـل حنوّ العلمـاء الراسـخين و الدعاة الناصحيـن عليهـم بأنهـم مـع أنـاس يشـاركونهم آمالهـم، ويشـاطرونهم آلامهـم، ونشـر الدعـوة إلـى الفضيلـة باعتـدال يقطـع دابـر الفتـن، فـإذا انتشـرت الدعـوة إلـى اللـه باعتـدال فإنـه يرجـى أن تثمر مـا يأتي:

١- فـي وجـود الدعوة إلى الله ونشـر الفضيلة سـبب في ردع بعض النـاس مـن انتهاج منهـاج الغلـو والعنف فـي التغييـر لبعـض المنكرات، فـلا يكـون التغيير والإنـكار إلا بالتي هي أحسـن.

٢- أن فـي ذلـك تفويت الفرصة على أصحاب الأفـكار الضالة التي تتبنـي منهـج أهـل البدع مـن الخـوارج ونحوهـم، فـلا يصلـوا بأفكارهم إلـى شـباب تدفعهم الغيـرة، والحمية الصادقـة، ويحركهم حـب الله جل وعز.

٣- إذا ظهـرت الدعـوة إلـى اللـه ونشـرت الفضيلـة، فإنهـا تزاحـم انتشـار الأفـكار الغاليـة، بـل وتعالجهـا إن وقعـت.

٤- فـي الدعـوة إلى الله شـغل لفئـة عمرية خطيرة هي فئة الشـباب، حيـث يكرسـون جهودهم في طلـب العلم وتلقيـه عن أهل الرسـوخ فيه، ومـن ثَمّ المشـاركة في مناشـط الدعـوة إلى اللـه، وإصلاح النـاس، وهذا فيه حسـم لمادة الغلـو أيضا.

٥- مراعـاة أنـه كلمـا ضعفـت الدعـوة إلى اللـه وإلى نشـر الفضيلة

والاعتـدال قويـت فئـة الغلو، وانغلـق مفتاح العقـل بالعصبية عـن الحق.

٦- أن فيـه إضعـاف لأهـل المجاهـرة بالسـوء، لأنهـم يناصحـون بالحسـنى دائمـا.

ويزاحمـون بـالآداب الشـرعية. وأمـا عـلاج مـا يحدثـه تـرك الأمر بالمعـروف والنهـي عـن المنكـر علـى ظهـور مشـكلة الغلو:

الأمـر بالمعروف والنهي عـن المنكر من أعظم ما ندب إليه الشـارع الحكيـم، ومـا ذلك إلاَّ لمـا فيه من صـلاح المجتمعات والأفـراد، فالأمر بالمعـروف إذا قـام حَصَّن المجتمعات مـن الانحرافات سـواء العقدية أو السـلوكية، الجافيـة، أو الغالية، فالاحتسـاب يكون علـى الجافي والغالي سواء بسواء.

وهذه مسائل بهذا الأمر:

١- فـي ترك الأمـر بالمعروف والنهـي عن المنكر يحـدث ردة فعل ممـن تؤرقهـم كثـرة المعاصي فـي المجتمعـات، وتذيـب قلوبهـم الغيرة فـي سـبيل الحق والفضيلـة، وهم قد لا يفقهـون الأحـكام الخاصة بالأمر بالمعـروف والنهـي عـن المنكـر، فيطلقـون أحكامهـم المغاليـة علـى المجتمعـات وعلـى العصـاة، أو يقومـون بالإنـكار بطريقة منكرة شـرعا.

٢- قـد يقـول المغالـي: إن الأمـة لـم تتصـدى لهـذه المنكـرات لتغييرهـا، فأقـوم أنـا بالتصـدي، وهـو لا يحسـن؛ وإنمـا تدفعـه الغيـرة فحسـب، وهـذا ناتـج عـن تقصيـر المختصيـن فـي قيامهـم بواجبهـم.

٣- الغلـو هـو منكـر مـن المنكـرات، ولـذا لـزم الاحتسـاب عليه،

مـن العلمـاء، والأمراء الذيـن يقومون بشـأن عامة النـاس... وما خرجت الخـوارج إلا بالغلـو فـي الأمـر بالمعـروف والنهي عـن المنكر.

٤- مراعـاة أحـوال أهـل الغلـو، فإنهم ليسـوا علـى درجـة واحدة، فمنهـم الداعـي إلـى فكرتـه، ومنهم غيـر الداعـي إليهـا، ومنهـم المنافح عنهـا، ومنهـم المتبنـي الصامت لهـا، ومنهـم المقاتل دونهـا، ومنهم دون ذلـك، فيحتسـب على كل بحسـبه.

بقي أن أقول:

هـذه المعالجـة تحتاج لحلـم وعلم وحـزم، مع بيـان المقصد منها، فـي تحسـين حالة المجتمع، مـن أن يكـون مجتمعا قابلا للاسـتفزاز، إلى أن يكـون مجتمعـا متوازنا فـي ردود أفعالـه، منضبطا فيها بمفاتيح الشـرع القويـم... وفـق اللـه الجميـع لصـلاح النيـة والعمـل وصلى الله وسـلم علـى نبينـا محمد بن عبـد الله وآلـه وصحبه ومـن والاه..

عقبولة:

* قال لي: فكر خارج الصندوق.

قلت له: أعطني مثالًا على ذلك.

قـال: للأسـف نحـن لا نُبَكـر فـي أعمالنـا، ولـو بكرنـا لكنـا كذلك العصفـور الـذي يحصـل أولًا وقبـل رفاقـه، على الـدودة.

قلـت لـه: يـا سـيدي الـدودة المبكـرة كانـت طعامًـا لعصفـورك، والمتأخـرة نجـت..

فَحَكَّ صدغهُ وانصرف يحوقل، «خربت عليه».

«التحالف الإسلامي»
ضرورة واقعية وحاجة عصرية

كانت العرب في ماضي الأوقات يسكن بعضها بجوار بعض، ويحالف بعضها بعضا، بأحلاف تضمن لهم حياة آمنة، وقوية في نفس الوقت، وما ذاك إلا لكثرة السلب والنهب، هذا في حدود القبائل وأفرادها، وتتجدد الحاجة البشرية للأمن مادامت البشرية على ظهر البسيطة، لأن الأمن حاجة أساسية، ومطلب وجودي للوجود... فظهرت التحالفات الدولية، وامتزجت الدول والتكتلات البشرية بعضها ببعض؛ بغية الأمن، والحياة الوادعة؛ وممارسة مصالحهم البشرية بقدر كاف من الاستقرار؛ ثم إن مفهوم هذا المقال هو أن لا قيام لمصالح المسلمين في الدين والدنيا إلا بوحدتهم واجتماع كلمتهم على الحق، وأصدق الأدلة والبراهين على ذلك ما ينتج عن الفرقة والاختلاف -ضد الوحدة والاجتماع- من المفاسد والأضرار في الدين والدنيا، وهي كثيرة لا تعد ولا تحصى، ومن أخطرها؛ الوقوع في مخالفة أمر الله ورسوله.

اختلاف المسلمين وتفرقهم مخالفة لما ورد في الكتاب والسنة من الأمر بالوحدة واجتماع الكلمة، ونصوص الكتاب والسنة متكاثرة بذلك مما يدل على وجوب وحدة المسلمين واجتماع كلمتهم على

الحق، وهي كلها نصوص محكمة يتحتم العمل بها في كل زمان ومكان، لم ينسخ منها شيء.

فوحدة المسلمين ليست خيارًا استراتيجيًّا يلجأ إليه المسلمون عند الحاجة أو الضرورة، بل هي أصل من أصول الدين الكلية، وقاعدة من قواعده العظمى، والتفريط فيها معصية توجب غضب الله وعذابه في الدنيا والآخرة، قال جل وعز: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب:٣٦].

وفي اختلاف القلوب وتفريق الناس آفات؛ فإن الاختلاف في الأعمال الظاهرة كصور أداء العبادات، وتحديد مواقيتها الزمنية أو المكانية، أو تباين مواقف المسلمين في القضايا المصيرية، يؤدي إلى اختلاف القلوب، ويدل على تنافر المقاصد والنوايا.

ولذلك كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يأمر الصحابة بتسوية الصفوف عند الصلاة، فعن أبى مسعود رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح مناكبنا في الصلاة ويقول: «استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم»[1].

ولقد وقعت الأمة فيما حذرها منه النبي -صلى الله عليه وسلم- لما اختلفوا بينها فاختلفت قلوبهم، فأصبحت كل طائفة تؤدي شعائر الدين من صلاة صيام وحج ونحوها بطريقة مختلفة تمامًا،

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٣٢٣)، برقم (٤٣٢).

وكل طائفـة تتعصـب لمذهبهـا وفتـاوى أئمتهـا وعلمائهـا ولا تقبـل الرد إلـى اللـه ورسـوله عنـد الاختـلاف فـي شـيء مـن أمـور الدين.

وأدى اختـلاف مناهـج الدعـاة ومقاصدهـم إلى اختـلاف قلوبهم، فعـادى بعضهـم بعضـا، وبـدع بعضهم بعضـا، وحذر بعضهـم من بعض، فنـزع اللـه البركة مـن أقوالهـم وأفعالهـم، وأصبح كثيـر ممن لـم يتعلموا خيـرا منهـم؛ فلم يعد يسـمع لهم أحـد، فنفقت سـوق المعاصـي والبدع، وانتشـر الباطل ومروجـي الخرافة.

ومن أضرار التفرق كذلك؛ الفشل وذهاب الريح.

فهـو مـن أعظم أضـرار اختـلاف المسـلمين وتفـرق كلمتهـم، وقد ذكرهمـا اللـه -جل وعـز- في القـرآن لخطورتهمـا، فقال جل مـن قائل: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

والفشـل وذهـاب الريـح تعبيـر بليـغ عـن نقـص قـوة المسـلمين وقصورهـم عـن بلـوغ مقاصدهـم فـي تقويـة أنفسـهم وصـد أعدائهـم، وكذالـك ضعفهـم.

ولا تعبيـر أدق فـي وصـف واقـع المسـلمين الأليـم مـن الفشـل وذهـاب الريـح، ذلـك بأنهـم اختلفـوا وتنازعـوا ففشـلوا فـي تقويـة جبهتهـم الداخليـة وإعـداد القوة اللازمـة لحماية أنفسـهم، فبـاع طوائف مـن المسـلمين مبادئهـم، فذهبـت ريحهـم وتلاشـت القـوة، وأهينـت المقدسـات الإسـلامية بشـكل مخيـف لـم يعهـد مـن قبـل، وكل هـذه

المصائب وجميع هذه الويلات لم تكن لتحصل إلا باختلاف المسلمين وتفرقهم.

غير أن أقوى ما يثير في النفس الحديث عن ضرورة الوحدة الإسلامية ومسيس الحاجة إليها هو ما قرره الاتحاد الأوروبي من توسيع نطاق عضويته ليضم إليه عشر دول جديدة من وسط وشرق القارة الأوروبية؛ ليصبح اتحادًا عملاقًا يضم خمسًا وعشرين دولةً، وهي خطوة جديرة بالنظر والتأمل من قوم أقوياء يبحثون عن تعزيز قوتهم في عالم لا يحترم إلا منطق القوة، ولا يقيم وزنًا للضعفاء والمستضعفين الذين لا يحسنون غير التشكي والألم!

ولقد كانت تلك الدول- منذ عقود يسيرة من الزمن- تنقسم فيما بينها أشد الانقسام، وتتحارب حرب إفناء، وتتوارث الضغائن والإحن.

ألم تشهد أوروبا في القرن الماضي حربين عالميتين تركتا كثيرًا من دولها خرابًا، ومن مواطنيها قتلى ومصابين، وخلفت ذكريات مريرة من العداء! ثم انقسمت بعد ذلك إلى فريقين متخاصمين:

رأسماليين وشيوعيين، ثم هاهي ذي اليوم تحاول أن تتناسى ذلك كله، وتجتمع في صعيد واحد على اختلاف نظمها وأعراقها وتبايُن قوى اقتصادها، فما أَنِفَت دولها الغنية من ضمِّ دولها الفقيرة؛ بل هي تمد لها يد العون حتى تعلو جميعها معًا.

وهـو اتحـاد يحتفـظ مـع ذلـك بنقائـه الدينـي مـا اسـتطاع، بعدمـا خدعتنـا دولُـه طويـلًا بأنهـا علمانيـةٌ، لا شـأن لهـا بالديـن، فلا يضـمُّ إليه حتـى الآن إلا دولًا مسـيحيةً، وقـد أبـى أن تدخـل فيـه تركيـا المسـلمة، لقـد ذابـت عصبيـات الشـعوب التي تنتمـي إلى أصـول مختلفـة وكوِّنت اتحـادًا واحـدًا، وتناسَـت سـنوات الصـراع بينها، حتـى أصبـح المواطن الأوروبـي يجـوب دول الاتحـاد مـن شـرقها إلـى غربهـا بجـواز سـفر أوروبـي واحـد...

وفـي هذا درس لأمم الشـرق، دولا وشـعوبا... لـن يقترب بعضكم مـن بعـض، وتتوحد كلمتكـم؛ حتى تتمكنوا مـن نبذ الخـلاف والفرقة...

بقي أن أقول..

فعـلا التحالـف الإسـلامي لمواجهـة الإرهـاب والتطرف هـو أول مشـروع للم الشـمل...

وهـو الخطـوة الأولـى بحـق فـي توحيـد جهـود الأمـة الإسـلامية للـذود عـن الإسـلام...

شكرا لكم.

عقبولة:

* الاجتماع رحمة، والفرقة عذاب.

* لا خير في عاقلٍ بلا سفيه، ولا خير في يمنى بغير يسار.

* نحتاج إلى حِلفِ فضولٍ معاصر، فأين السادة.

❋ لا عِزَّ إلا بقوة، ولا قوة إلا بالله جل وعز.

❋ الإصـلاح السـلمي، والاجتماعـي، أرقـى درجـات الإصـلاح الإنسـاني.

❋ المجتمـع قـد لا يعـرف أبطالـهُ علـى الحقيقـة، لكنـه يحـبُ مـن يخدمـه، ولا يـكاد ينسـى مـن يحسـن إليـه.

هل «أنا حرامي»

الأخلاق ميزان هام في الأمم، ولها أثرها البالغ على النسيج الاجتماعي، ولذا ركز الإسلام على بيانها والتأكيد عليها، والتحريج في أكل مال اليتيم والمظلوم، ونحوه، فالجانب الاقتصادي المالي في الإسلام، جانب أخلاقي بحق، لكي لا يكون بيننا «حرامي»، فهو يتبنى حزمة قيم أخلاقية فاضلة؛ بل ويبني عليها رؤيته ويوظفها في تحقيق غاياته، إلا أنه لا يعتمد على هذا الجانب فحسب، بل يأخذ بما تواطأت عليه المؤسسات المادية لتحقيق مصالحها، وهو بهذا يكون قد وازن بين مصلحة الإنسان وقيمه الأخلاقية ولم يكن كبعض النظم التي اعتمدت اعتمادا كليا على المنفعة الفردية أو الجماعية وجعلت منها معيارا للصلاح..

والمال في الإسلام وإن كان يسعي إلى تقديم حلول للمشكلة الاقتصادية في العالم إلا أنه ينظر بعين الاعتبار إلى الآخرة وما تستلزمه من العمل بالشرائع، كي لا يكون بيننا «حرامي» ولذا نجده يقوم على فكرة الحلال والحرام التي تمتد إلى جميع النشاطات الإنسانية لتؤسس للقيم والمثل الكريمة، يقول جل وعز: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ﴾ [القصص: ٧٧].

أي ابتـغ بأمو الـك مـا عنـد اللـه، وتصـدق ولا تقتصـر علـى مجـرد نيـل مـا تريـد، وتحصيـل كل لذيـذ، ولكـن لا تتصـدق بجميـع مالـك فتبقـى ضائعـا، بـل أنفـق لآخرتـك، واسـتمتع بدنيـاك اسـتمتاعا لا يؤثـر علـى دينـك، ولا يضر بآخرتـك، وهذا هـو التوجيـه الرباني إلـى ضرورة الجمـع بيـن العمل وفـق ضوابـط السـلوك الاقتصـادي والاسـتفادة منه، وبيـن العمـل للآخـرة ومـا فيهـا مـن الأجور..

الاقتصـاد فـي الإسـلام يـا سـادة؛ خليـط؛ دينـي بشـري، دنيـوي، أخـروي، مـادي، وأخلاقـي، فهـو جامـع لمحاسـن النظـم الماليـة قبله.. كـي لا يكـون بيننـا «حرامـي».

يقـول أحـد المبعوثيـن: وأنـا أتـردد مابيـن الكليـة المبعـث إليهـا والسـكن كنـت أمر علـى بقاله تبيـع فيها امرأة وأشـتري منها كاكاو بسـعر ١٨ بينـس وأمضـي، وفـي مـرة مـن المـرات... رأيتهـا قـد وضعـت رفـا آخـر لنفـس نـوع الـكاكاو ومكتـوب عليـه السـعر ٢٠ بينس، فاسـتغربت وسـألتها هـل هنـاك فـرق بيـن الصنفين؟؟

قالت: لا، نفس النوع ونفس الجودة.

فقلـت: إذا مـا القصـة؟ لمـاذا سـعر الـكاكاو بالـرف الأول ب١٨ وفـي الـرف الآخـر بسـعر ٢٠.

قالـت: حـدث مؤخرا فـي الدولة التـي تصدر لنـا الكاكاو مشـاكل، فارتفـع سـعر الـكاكاو وهذا مـن الدفعـة الجديـدة نبيعهـا ب٢٠ والقديم ب١٨.

فقلـت لهـا: إذن لـن يشـتري منـك أحد سـوى بسـعر ١٨ حتـى نفاذ الكميـة، وبعدها سـيأخذون بسـعر ٢٠.

قالت: نعم، أعلم ذلك.

قلـت لهـا: إذن اخلطيهم ببعـض وبيعيهم بنفس السـعر الجديد ٢٠، ولن يسـتطيع أحد التمييـز بينهم.

فهمست في أذني وقالت: هل أنت حرامي؟

اسـتغربت لمـا قالته ومضيـت؛ ومـازال السـؤال يتردد فـي أذني... هـل أنـا حرامي؟!

بقـي أن أقـول: قليـل الباطـل وكثيـره سـواء، وكمـا قـال بعـض الفضـلاء: نحـن لسـنا متأخـرون عـن الغـرب، ولكـن متأخـرون عـن الإسـلام...

عقبولة:

❋ فقراء الأخلاق هم الأسوء حالًا ومالًا.

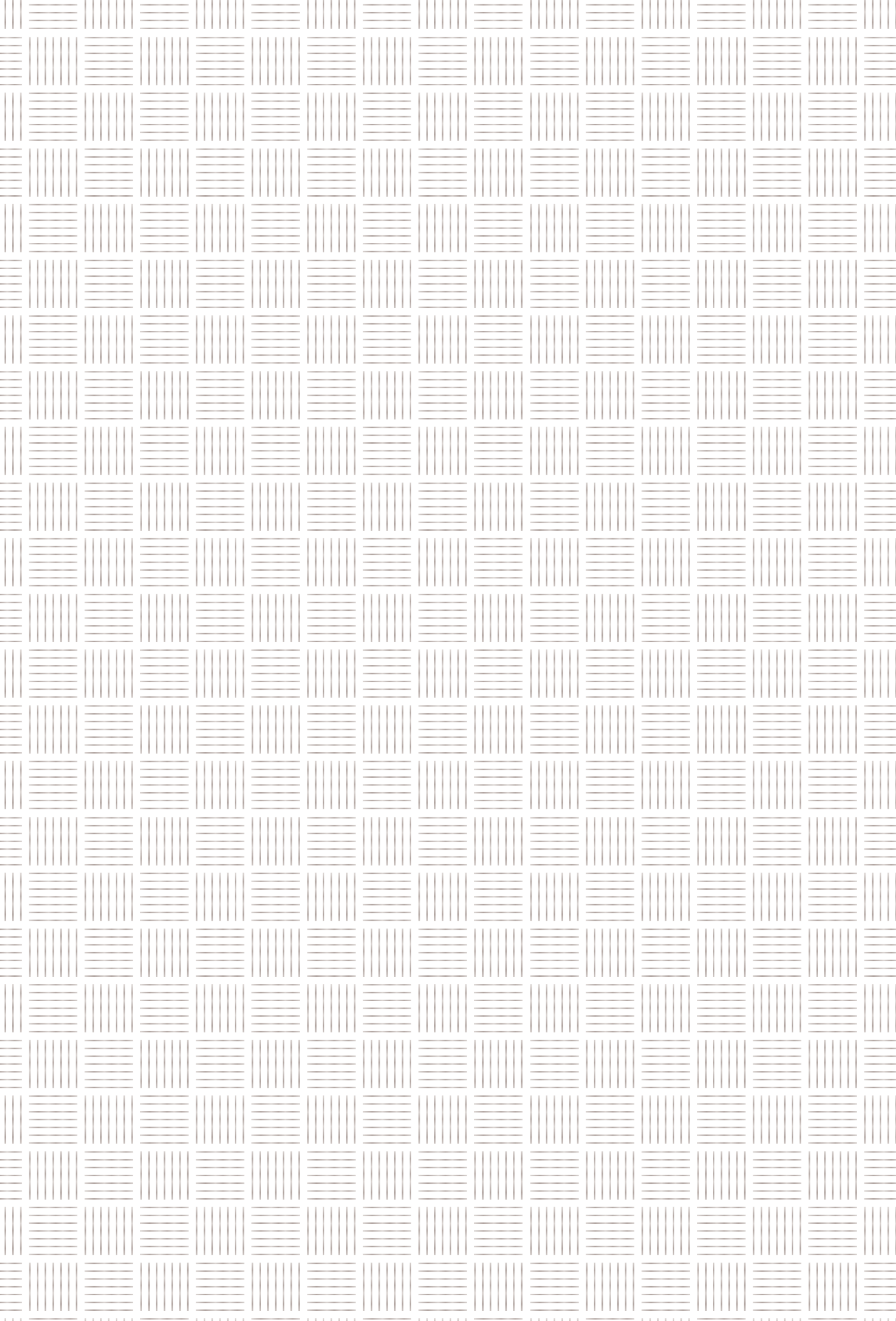
❋ السـرعة أصبحت عمـودًا فقريًـا لحياتنا، ما جعـل قراراتنا ضعيفة دون تأمل ولا دراسـة.

❋ للعقل نشوة لا تعدلها نشوة، ولا لذة..

❋ للنجاح فاتورة غالية، فكن مستعدًا للدفع.

❋ الأخـلاق مـن الديـن، بـل هـي الديـن، ومن فاقـك فـي أخلاقه، فاقـك فـي دينه.

❋ المجتمعات المنغلقة، بطيئة الإصلاح.



رحلة مع خارطة الطريق

لـكل رحلـة خارطة طريق يسـير المسـافر عليهـا ليصـل لوجهته في أسـرع وقـت، وبأقـل كلفـة، وبأتـم حـال، هـذا مـا أدركـه الإمـام الجليل والشـيخ النبيـل المجـدد محمـد بـن عبـد الوهـاب -رحمـه اللـه رحمـة واسـعة- فصنـف للمؤمـن خارطـة طريـق، يسـير بهـا إلـى ربـه، ليصـل بأمـان، وجلاهـا بالنصـوص الشـريفة والأدلـة المنيفـة ونخـب مـن كلام سـلف الأمة فـكان كتـاب التوحيد الـذي هو حق اللـه على العبيـد منهجا علميـا وخارطـة طريـق للتجديد وقـد بين فيه الإمـام- رحمه اللـه- معنى التوحيـد وكيفيـة تحقيقـه وفضائلـه، ووجوب الخـوف والحـذر من ضده، ووجـوب الدعـوة إليـه وأنـه هـو معنى مقتضـى شـهادة أن لا إلـه إلا الله.

وبيـن جمـلا مـن خصالـه، وشـعبه ومكملاتـه، ونبـه علـى الشـرك الأكبـر الـذي هـو ضـد التوحيـد وينافـي التوحيـد بالكليـة، ثـم الشـرك الأصغـر الـذي ينقـص كمـال التوحيـد الواجب ويضعفـه، ثم البـدع التي تقـدح فـي التوحيـد، وتهـون مـن شـأنه، ثـم كبائر الذنـوب التـي تضعف التوحيـد وتصـد عنه.

فتكلـم الإمـام -رحمـه اللـه- عن خصـال التوحيـد التي هـي أنواع العبـادة بالتفصيـل، ونبـه علـى الشـرك بنوعيـه الأكبـر والأصغـر الجلـي منهمـا والخفـي، وتكلم عن جمـل من البـدع وجمل من أمـور الجاهلية،

وذكـر جمـلا مـن كبائـر الذنـوب، كل هـذا بالتفصيـل، وبالأدلـة مـن المحكـم مـن كلام الله جـل وعز ومن السـنة الثابتـة عن النبـي صلى الله عليـه وسـلم ومـن الأحاديـث التي تدخـل تحت الأصـل العـام، وإن كان فيهـا ضعف، ومـن مأثور كلام السـلف الصالح -رحمهم الله- واسـتنبط مـن النصوص مـن الآيـات والأحاديث وكلام السـلف اسـتنباطات دقيقة ومفيـدة تـدل على سـعة فقهه وعـن سـلامة قصده وعـن معرفتـه بأحوال أهـل زمانـه، ولذلك ذكر المسـائل لينبه فيهـا على ما وقع مـن المخالفات وعلـى دلالـة المحكم مـن الآيات الأحاديـث الصحيحة، وقد ينبـه أحيانا فيقـول: وقـد خالـف في هذا مـن خالـف، فهذا الكتـاب المبـارك خارطة طريـق الموحـد ومفتاح سـلامة مـن الشـرك والخرافة.

وإن كتابـا هـذا حاله لحقيق ببيان شـأنه، وتنوع المؤلفـات في بيانه، فمنهـم مـن شـرح أدلـة الكتـاب وبيـن دلالاتهـا ومقاصدهـا، ومـن ذلك كتـاب تيسـير العزيـز الحميد للشـيخ سـليمان بن عبـد الله بـن محمد بن عبـد الوهـاب، حفيـد الشـيخ محمـد رحمة اللـه عليهـم، وقتل -نحسـبه شـهيدا- ولـم يكمله.

فهـذا الكتـاب عنـي ببيـان نصـوص الكتـاب ودلالاتهـا واسـتيفاء شـرحها مـن كتـب أهـل العلـم المعتمـدة فـي تفسـير كتـاب الله وشـرح سـنة نبيـه صلـى الله عليـه وسـلم، ومـن العلماء مـن اختصر هذا الشـرح ونقـل إشـارات مـن الفوائد والمسـائل التي اسـتنبطها الإمام مـن أدلة كل بـاب، وعنـي بذلك، ومـن ذلك كتـاب فتح المجيد للشـيخ عبـد الرحمن

ابـن حسـن حفيد الإمـام، ومن ذلـك كتاب التنديد للشيـخ سـعد بن عتيق -رحمـه اللـه- ومن أحسـن ما أُلـف في الكتاب في الإشـارة إلـى مقاصد التراجـم والأبـواب ثلاثة كتـب لا يسـتغني عنها طالـب العلم:

الأول: حاشـية كتـاب التوحيـد؛ للشـيخ عبـد الرحمـن بـن قاسـم، العاصمـي النجـدي، جامـع فتـاوى شـيخ الإسـلام ابـن تيميـة -رحمـه اللـه- فـإن هـذا العالـم، اسـتفاد مـن كلام شـيخ الإسـلام ونقـل زبـدا مـن العلـم علقهـا علـى أبـواب الكتـاب، وجعـل منها فـي حاشـيته على الكتـاب.

الثانـي: كتـاب القـول السـديد؛ للجهبـذ الإمـام عبـد الرحمـن بـن ناصـر السـعدي- رحمـه اللـه-، فقد تكلـم علـى مقاصد تراجـم الكتاب وأجـاد وأفاد.

ومـن الشـروح التـي عنيـت بذلك كذلـك الـدر النضيد علـى كتاب التوحيـد للشـيخ سـليمان بن حمـدان -رحمـه اللـه- أما أقرب الشـروح وأيسـرها وأكثرهـا عنـدي نفعا فجملـة منها:

كتـاب القـول المفيد علـى كتاب التوحيد لشـيخنا محمـد بن صالح ابن عثيمين -رحمـه الله-.

وكتـاب شـرح كتـاب التوحيد الملخص لشـيخنا العلامـة صالح بن فوزان الفـوزان متع اللـه بحياته ونفـع بعلومه.

وكتـاب المفيـد على كتـاب التوحيـد لشـيخنا ووالدنـا العلامة عبد اللـه بـن صالـح القصير رفع اللـه درجته وأكـرم منزلتـه، فـي الدارين..

وقد جمع فيه ما لم يجتمع في ما سواه من الفوائد والفرائد..

و كتاب التمهيد بشرح كتاب التوحيد لمعالي شيخنا الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ أمد الله في عمره ونسأ في أثره وبارك في حياته..

فهذه المهمات من الشروحات مما ينبغي أن يعتني بها طالب العلم لفهم هذا الكتاب المبارك وهذه الخارطة الجليلة لطريق توحيد الإلوهية فهو أصل الملة وقاعدة الشريعة، وأساس صحة العمل، وقبوله، و هو خلاصة الكتب الربانية المنزلة من رب العالمين وزبده الرسالات الإلهية.

وصدق الله جل وعز: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾، ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾.

بقي أن نعرف من الآيات أمرين:

الأمر الأول: بيان معنى التوحيد، وملخصه أن المراد به هو إفراد الله جل وعز بما يختص به سبحانه، وهو أيضا، عبادة الله وحده بما شرع على الوجه الذي شرع، ولا يتأتى ذلك إلا باجتناب الشرك والأهواء والبدع، فهذا معنى التوحيد.

الأمر الثاني: هو بيان حكم التوحيد، وأنه أوجب شيء على المكلفين، من الجن والإنس بل هو أوجب الواجبات، وأحق

الحقـوق، وأن ضـده الـذي هو الشـرك أعظـم المحرمـات وأظلـم الظلم وأبطـل الباطـل.

ثبتنـا اللـه وإياكـم علـى التوحيـد الخالـص حتـى نلقـاه، وجعلنـا وإياكـم دعـاة هـدى، وصـلاح، ونفعنـا ونفـع بنـا، وفـق اللـه الجميـع لصـلاح النيـة والعمـل وصلـى اللـه وسـلم وبـارك علـى نبينـا محمد بن عبـد اللـه وعلـى آلـه وصحبـه ومـن والاه..

عقبولة:

❋ التوحيد لُبُّ الدين.

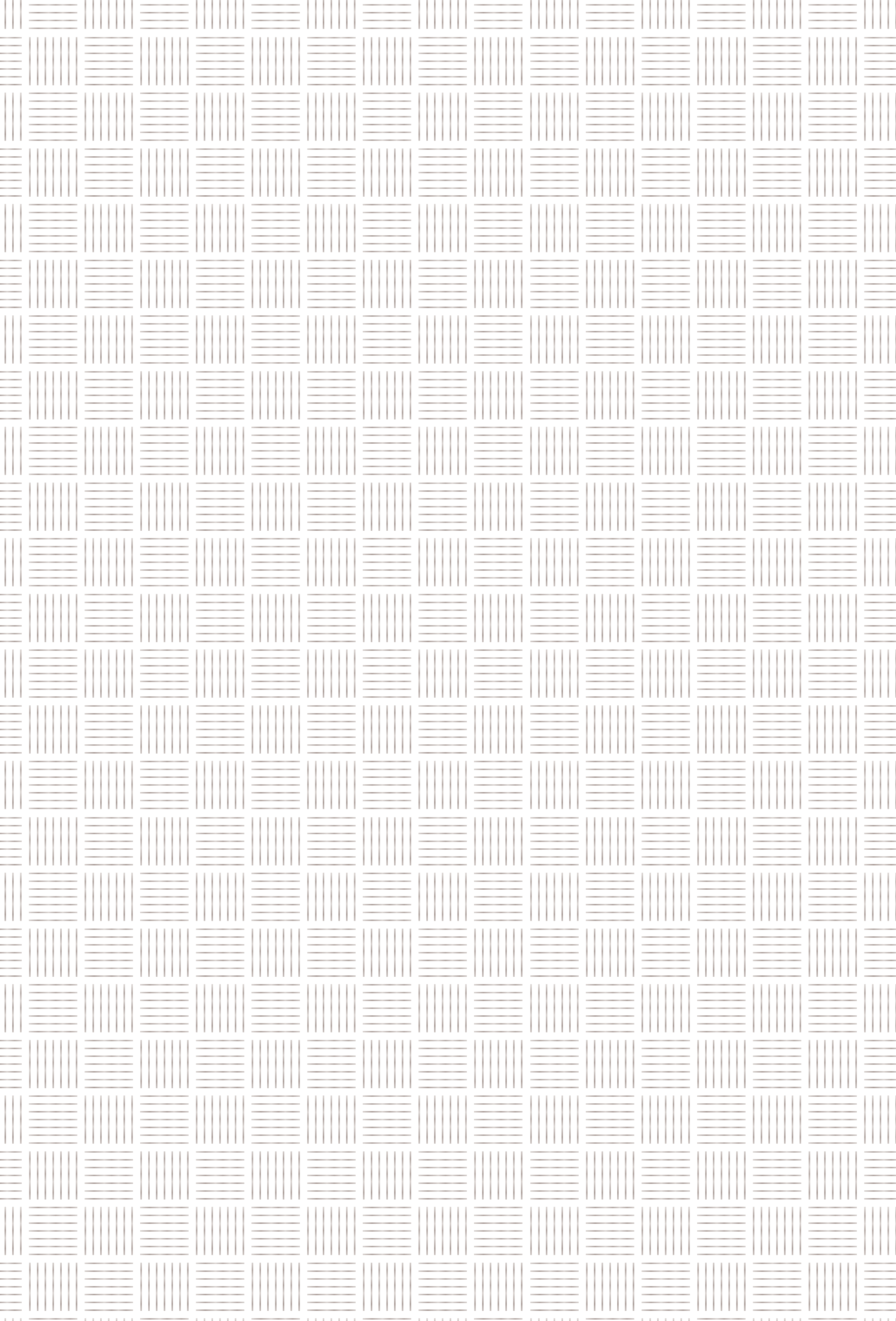
❋ مجاهـدة النفـس فـي العلـم، وتحصيلـه مـن أَجَـلِّ العبـادات في هـذه الأزمنة.

❋ العقـل ربيـب العلم، والعلم ربيـب الفهم، والفهم ربيـب القراءة، والقـراءة ربيبـة الـذوق، والـذوق توفيـق مـن اللـه، فـلا تثـرب علـى أي متخصـص تعلـق بتخصصه.

❋ لا ميراث أخبث من الجهل.

❋ لـو لـم يكـن للإمـام المجدد محمـد بن عبـد الوهـاب، إلا كتاب التوحيـد لكفاه..

❋ لا يزال هذا الكنز عامرًا بالمعارف، والقضايا الفكرية العظيمة.



إنعاش التعايش

التعايش مع النفس يكسبك السكينة ووضوح الأهداف، والتعايش مع العائلة يكسبك الانفعال الجميل، والتفاعل الإيجابي مع الحياة، والتعايش مع الصاحب يزيده لك قربا، وحبا، والتعايش مع العمل الوظيفي يكسبك ولاء جديدا، وكذلك التعايش مع المغاير في الرأي ينضج فكرتك، ويبني مشتركاتك لحياة إيجابية فهو بحق، مفتاح للحياة، ومحفز على تجسير المشتركات الإنسانية ليذيع الوداد بين بني البشر، ويبني الإنسان الحياة ويعمرها، ويحمل بحق معنى الجهاد الصحيح، بمعناه الواسع، ففي الحياة جهاد ومجاهدة، وفي الحياة تنافسية في خدمة البشرية، وليس هذا في وهلي إلا ثمرة من ثمرات إنعاش التعايش، وتوظيف المشتركات الإنسانية توظيفا إيجابيا، وهو تطبيق من تطبيقاته الميدانية اليسيرة، ذلك أن المشتركات الإنسانية في خطاب الإسلام حاضرة جلية في:

أولا: جنس الإنسان يشترك في الكرامة العامة؛ فأصل الكرامة العامة المذكورة في قوله جل وعز: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠] ثابتة لجميع بني آدم، فقد كرمهم بأن خلقهم في أحسن صورة، وقومهم في أحسن تقويم وأحسن قامة، وكرمهم

بأن ركب فيهم العقول التي بها يعرفون المحاسن من المساوي، وكرمهم بأن سخر لهم جميع الخلائق، وهذا اعتدال في النظرة لبني البشر.

ثانيا: جنس الإنسان يشترك في حق حفظ المقاصد الكلية التي، دعا الإسلام إلى حفظ الضروريات الخمس (الدين والنفس والعقل والعرض والمال) بلا تفريق بين الناس، فحفظ الحرية في الاعتقاد، وهذا عدل واعتدال ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [البقرة: ٢٥٦] وحذر من المساس بحق المعاهدين من غير المسلمين في الحياة وهذا عدل واعتدال، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاما»[١]، وحرم على المسلم المساس بمال غير المسلم، وهذا عدل واعتدال، فعن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ألا من ظلم معاهدا، أو انتقصه، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس، فأنا حجيجه يوم القيامة»[٢]. وفي كتاب الحنابلة أن من قذف مشركا أدب[٣].

ثالثا: جنس الإنسان يشترك في أصل واحد؛ ركز خطاب الإسلام على حقيقة وحدة البشرية وانتماء الجميع إلى أصل واحد، وهذا ما يبرز بقوة في قوله جل وعز: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي

(١) أخرجه البخاري (٤/ ٩٩)، برقم (٣١٦٦).
(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٣/ ١٧٠)، برقم (٣٠٥٢).
(٣) انظر: شرح الزركشي على مختصر الخرقي (٦/ ٣١٥).

خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١]، وقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات ١٣] وقول الرسول -صلى الله عليه وسلم-: «الناس بنو آدم وآدم من تراب»(١).

واعتراف الإسلام بالأصل المشترك بين الناس يعد من أهم المرتكزات التي مهدت لتأسيس بنيان السلم الاجتماعي في المجتمعات الإنسانية ذات التعددية العقدية والقبلية، وهذا حجر زاوية الاعتدال فيه.

رابعا: احترام العلم والعقل والعمل والحرية والعدل؛ فليس هناك دين قدر العلم كما قدره الإسلام حتى إنه جعل الخشية الكاملة حكرا على العلماء العاملين، يقول جل وعز: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر: ٢٨]، والعلم في الإسلام هو العلم النافع ولذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع»(٢).

وقد حظي العقل في رحاب الإسلام بمكانة سامية ومنزلة عليا، وتتضح مكانته في جعله من الضروريات.

وقد أسس الرسول صلى الله عليه وسلم مبدأ الحرية في

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٤/ ٣٣١)، برقم (٥١١٦)، والترمذي في سننه (٥/ ٧٣٥)، برقم (٣٩٥٦)، وأحمد في مسنده (٨/ ٤٠٣)، برقم (٨٧٢١).

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٨٨)، برقم (٢٧٢٢).

الإسلام على أساس العبودية الخالصة لله تعالى الواحد الأحد، وعلى الخروج من مآثر الجاهلية، ومن قيد الشيطان والدخول في قيم الإسلام، ومن هنا تكون حرية الإنسان المسلم وإرادته لما يصلح حياته في إطار هذه القيم الثابتة، والسير في ركاب هذا المفهوم يجعل حياة الإنسان في توافق وانسجام مع نواميس الكون وسنن الله في فطرة الوجود كله وهذا هو المقصد من اعتداله، وبهذا ينشط الإنسان المسلم لعمارة الكون، والدعوة إلى الوسط، وبيان التوحيد والدعوة إليه...

بقي أن أقول:

الاعتدال بحق مفتاح التعايش، ومنعش للمشتركات الإنسانية...

وفقكم الله لخير الإسلام والإنسانية جمعاء...

عقبولة:

* التشارك حياة شئنا أم أبينا.

* ليس الدين دكان يتوصل به إلى رغائب النفوس المجردة، وليس وظيفة تؤدى ليُنال بها «المعاش» آخر الشهر فحسب، هو أسمى من كل ذلك.

* مفتاح اللقاء، وبهجة المُحيا، وسرور الروح، تلكم هي البسمة الصادقة.

* إذا استشعرت أن الكثير يعتمدون عليك، فحاول أن لا تخذلهم.

* حاول الاستماع للنقد البناء بغية الانتفاع، لا بغية الرد، فهذه كما يقول الخويطر -رحمه الله- سمة الشخصية العربية غالبًا، فتغلب عليها .

نظرية الورقة البيضاء

نظريـة ذهبيـة لحيـاة رضيـة، تعلمتها مـن دروس الحيـاة بعد عقدي الرابـع، وهـا أنـا أبثـك قارئـي العزيـز، قارئتـي العزيـزة بـكل امتنـان هذه النظريـة، بعـد معانـاة التجـارب، ورصـد ثمـرات ذلـك طيلـة العشـرين عامـا الأخيـرة؛ حيث بدأت بضـم النظير إلـى نظيره، من تجـارب الحياة، فظهـرت لـي نتائج أقـرب إلى جعلهـا قواعـد لحياتي الخاصة، ومن شـاء منكـم أن ينتفـع بهـا، فقـد ضم أعمـارا إلـى عمره!

ومدخـل ذلـك؛ من يقـول أنني اهتـز وجدانيًّـا.. وأطـرب عاطفيًّا، ويتـرك الموقـف الوجدانـي في قلبـي ندوبًا قـد لا تزول ولا تحـول.. وما حالـه إلا كما قـال الحمداني:

أقول وقد ناحـــــت بقربي حمامةٌ
أيا جارتي هــــــل بات حالك حالِ
معاذ الهوى ما ذقت طارقة النوى
ولا خطرت منـــــك الهمومُ ببالِ

ومـا ذاك إلا أنـه فـي الغالـب يتعامـل مـع النـاس بمبـدأ الورقـة البيضـاء.. وهـذا المبـدأ وإن كان مريحًـا..، طاهـرا، شـريفا؛ إلا أنـه قـد يجلـب لكـم بعـض المتاعـب ممـن لا يقـدر الأمـور بِقَدرِهـا.. فالنـاس ليسـوا بأغبيـاء لكنهـم قـد يثقـون فـي مـن لا يسـتحق ثقتهـم..

فأنـت فـي طريق الحيـاة، قـد تقابـل الانتهازي الـذي يظن أنـه ربح الموقـف.. أو تمكـن مـن الاحتيـال عليـك.. وأنـت مع هذا تشـفق عليه لعلمـك ببرودة وجهه، وسـخف شـخصيته، وانتهازيته.. ومـع ذلك فأنت تتعامـل معـه بمنهـج «أَمِرُّوهـا كمـا جـاءت»؛ لأنـك لـو رددت علـى هذا الشـيء المدعـو.. انتهازيـا، لأصبـح فـي حياتـك، كل مثقال مـن حجارة الـرد بدينـار كما فـي المثل..

فواهـا لأربـاب القلـوب الطاهـرة كـم كادت أن تتخلى عـن فضائل الأخـلاق جـراء صدماتهـا وما هـذا إلا من أشـنع الصد عن سـبيل الحب والإيمـان والطمـوح؛ فـكل صدمـة تـدق مسـمارا فـي نعـش العلاقـات والمعاملات!

وقـد تقابـل فـي طريـق حياتـك؛ الأفـاك الأثيـم.. وذلـك أنـه جعل الكـذب منهـج حياتـه.. ، وبـرر لنفسـه كذباتـه، وسـوغها بمسـوغات شـرعية، ومبـررات قانونيـة، كـي يكسـب الموقـف، ويخـرج مـن ربقـة الحـرج، فهـو الكذوب وليـس بالذكـور.. فيكـذب الكذبة تبلـغ الآفاق.. ثـم ينسـاها، أو يأتيـه مـا ينسـيه مـن تراكـم الكذبـات.. ثـم إذا سُـئل عنها أجـاب كذبًـا.. وهـذا وأمثالـه يجنـي عليـه لسـانه فـي الدنيـا والآخرة..

فالله غريمـه، والقيـم خصيمـه، والمـروءة ذبيحـه، و ربمـا لـو نصحـت، ثَـمَّ نصحـت، وأدبـتَ، ثَـمَّ أدبـت، لرأيته علـى ما هـو عليه من الكـذب والمكـر والمحايلـة..

ومنهجه.. بزعمه..

«كن ذئبًا وإلا أكلتك الذِّئاب»..

فهو بمحاولاته البائسة يحرق آخر أوراق ثقة القلوب فيه..

وقـد تقابـل فـي طريـق الحيـاة كذلـك؛ المجامـل المتملـق الـذي يكـذب ويعـرف أنـه يكـذب.. ويعـرف أنـك تعـرف أنـه يكـذب.. ومـع ذلـك هـو علـى جادتـه..

فيا عجبا لجلد الفاجر، وعجز الثقة..

وهـو يظـن أنه لعـب الـدور وأتقـن المشـهد ونسـي المسـكين؛ أنه فـي عيـون الصادقيـن قـد أطفـأ شـمعة اليقين..

وقـد تقابـل فـي طريقـك؛ الصـادق.. ومـا أقلهـم، في زمن شـكت فضيلـة الصـدق مـن جلـد رذيلـة الكذب..

بل عاد الصادق في الناس معيبًا لا ينقى..

فعـاد المـدحُ ذَمًّـا وأصبحـت الطهـارةُ عيبـاً، فـي زمـن طغـت فيـه المصالـح.. وعمـت فيـه الثقافـة النفعيـة..

والمـراد ذلكـم الصـادق فـي زمـن عَـجَّ بالمجامـلات الكاذبـة.. وبالكـذب الصُّـراح.. وبالبهتـان الأثيـم.. فيـا لـه مـن صابـرٍ مرابـط على ثغـور فضيلـة الصـدق..

ومـا زال يصـدق ويتحـرى الصدق حتـى يُكتب بـإذن الله عنـد الله صِدِّيقًا..

والحقيقـة عندمـا تتعامـل مـع هـذه الأصنـاف وهـذه الأنـواع مـن

النـاس بمبـدأ الورقـة البيضاء تـرى مكنونات عيـوب أهل العيـب منهم..

وتطالـع بالمقابـل محاسـن أخلاق من وُفِّقَ لحسـن الخلـق منهم.. فتكـون بيـن كفتين لا ثالـث لهما..

فتحمـد اللـه الـذي وفقـك لأن تكون شـوكة الميـزان.. بيـن هاتين الكِفَّتَين..

منتفعًا من إحسان الْمُحسن بالإتيان إلى أحسن ما أتى به..

ومستفيدا من إساءة المسيء بتجنب أسوأ ما أساء به..

وكـم جنـت هـذه الورقـة البيضـاء علـى نفسـيَّات ذوي القلـوب الرحيمـة، وأصحـاب الأفئـدة الرقيقـة؛ مـن جنايـات.

بقي أن أقول....:

تبين لي بالتجربة؛ أن الإنسان الطيب فاكهة المحتالين..

بحق لا بواكي لذوي القلوب البيضاء، فيا بؤسا لهم..

يا سـادة؛ مبـدأ الورقـة البيضـاء... مبـدأ شـريف... فـلا تتعاملوا به إلا مـع من يسـتحق...!

وقد قيل:

كثرة اللطف مع من لا يدرك معنى اللطف.. ضعف!

وإياكـم وخبيئـة النفـس التـي بينكـم وبيـن ربكـم جـل وعـز، أن تحدثـوا بهـا أحـدا..

وإياكم وما يصغركم في عين ربكم، ويحقركم في عيون الخلق..

فلا تفشوا شيئا من خبايا النفس لغير ربكم..

فالناس أجناس..

ذهب صادق.. ونحاس!

عقبولة:

* الحياة الطيبة لا تولد من رحم الرخاء المادي، ولكنها تولد من الانسجام والتوازن بين مطالب الروح ومطالب الحياة المادية.

* في التواضع قوة جذب عجيبة.

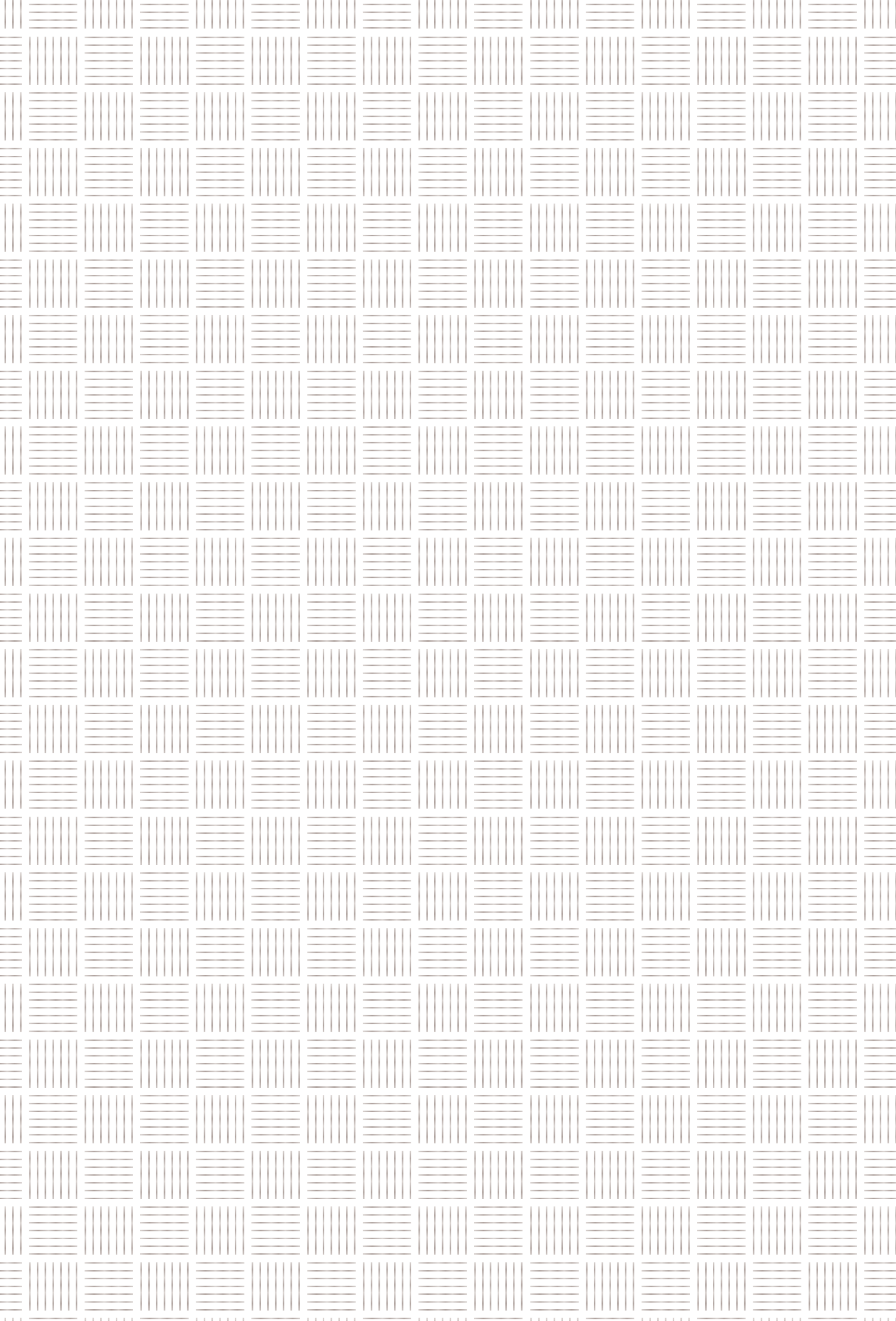
* قسوة الحياة، وكثرة مشاغلها لا تقلل من أهمية العاطفة والمرح.

* لعل أكبر مشاكلنا الشخصية كامن في محاولة تخلصنا من عاداتنا السيئة.

* نادر من الناس من يتعامل معهم بالتلقائية، فإذا وجدتهُ فالزمه، فإنه عملة نادرة.

* البيئة المحطمة تجني على الأجيال القادمة، وتفقدهم الثقة بذواتهم، مما يجعلهم يعيشون الإحباط مهما نجحوا.

* كلما نضجنا كلما قَلَّ كلامنا، وطال تأملنا.



لا إكراه في الوطنية

كما أنه لا إكراه في الوطنية «فلا حياد في مواقفنا مع الوطن» إما نصرة وولاء وأداء لحق البيعة وإما خيانة وجفاء.

إن محبة الوطن والانتماء له أمر فطري، وطبيعة طبع الله الناس عليها، وجبلة في الروح ولذا تأملوا معي قوله جل وعز: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الممتحنة:٨].

ولما كان الخروج من الوطن قاسيًا على النفس البشرية أشار الله إليه في كتابه وجعله قرين القتل، بل وفيصلا يؤثر في الولاء والبراء والوفاء.

ولترسيخ القيم الاجتماعية بين أفراد المجتمع الواحد، من أجل تداول القيم بالتآلف والتعاون، في لحمة وطنية واحدة يواسي فيها الغني المحروم والفقير، ويناصح فيها المخطئ، ونحو ذلك من تداول القيم الاجتماعية التي قررها وأقرها الإسلام؛ ليكون الناس في هذا الوطن كالبنيان المرصوص، يشد بعضه بعضا، وتمكينا لهذه القيم حسن التأكيد على عدم التعارض بين حب الوطن والشريعة الإسلامية بل محبة الأوطان من الوفاء وحسن العهد ولتعزيز ذلك لزم التأكيد على دور المؤسسات التعليمية والتربوية بتعزيز قيمة حب

الوطـن وبيـان مكانتـه في نصـوص الوحـي وفي قلب رسـول اللـه صلى اللـه عليه وسـلم.

فغـرْس حـبِّ الوطـن فـي نفـوس النـاس عامـة وشـباب الجيـل خاصـة؛ وحثهـم علـى الاعتزاز بـه، مفتـاح مـن مفاتيح ذلـك، والحرص علـى التفاهـم والتعـاون مـن أجـل سـيادة الوطـن والحفاظ عليـه مطلب شـرعي تقـوم بـه الشـرعة وتحفـظ بـه الضروريـات الخمـس، الديـن، والعقـل، والنفـس، والعـرض، والمـال.

فيقـوم بتقديـر مكتسـباته والحفـاظ علـى سـيادته؛ صـلاح الديـن والدنيـا وتغـرْس قِيـم الانتمـاء والمشـاركة والمواطنـة والعمـل والإنتاج والإنجـاز في نفـوس الجيل لتحيا نفوسـهم فخـورة بذلك، متنافسـة على التشـرف بالبـذل والعطاء.

ومـن مفاتيـح التعزيـز كذلـك الحـوار مـع الجيـل وسـماع آمالهـم وآلامهـم، والإنصـات لهـم وتعزيـز ثقتهـم بأنفسـهم، وبأوطانهـم.

أمـا إعداد برامج مدرسـية تربويـة، وأخرى جامعية مرافقـة للمنهج، مـن أجـل تعميـق المفاهيـم المرتبطـة بالوطنيـة فهـذا واجب أصبـح مثل الحتـم علـى الجهـات المعنيـة، ومـا ذاك إلا لمسـيس حاجـة الميـدان التربـوي لمثله.

بقي أن أقول:

صدق الأول في قوله:

وللأوطان في دم كل حر..

يد سلفت ودين مستحق..

ومن لا ولاء له فلا وفاء له..

عقبولة:

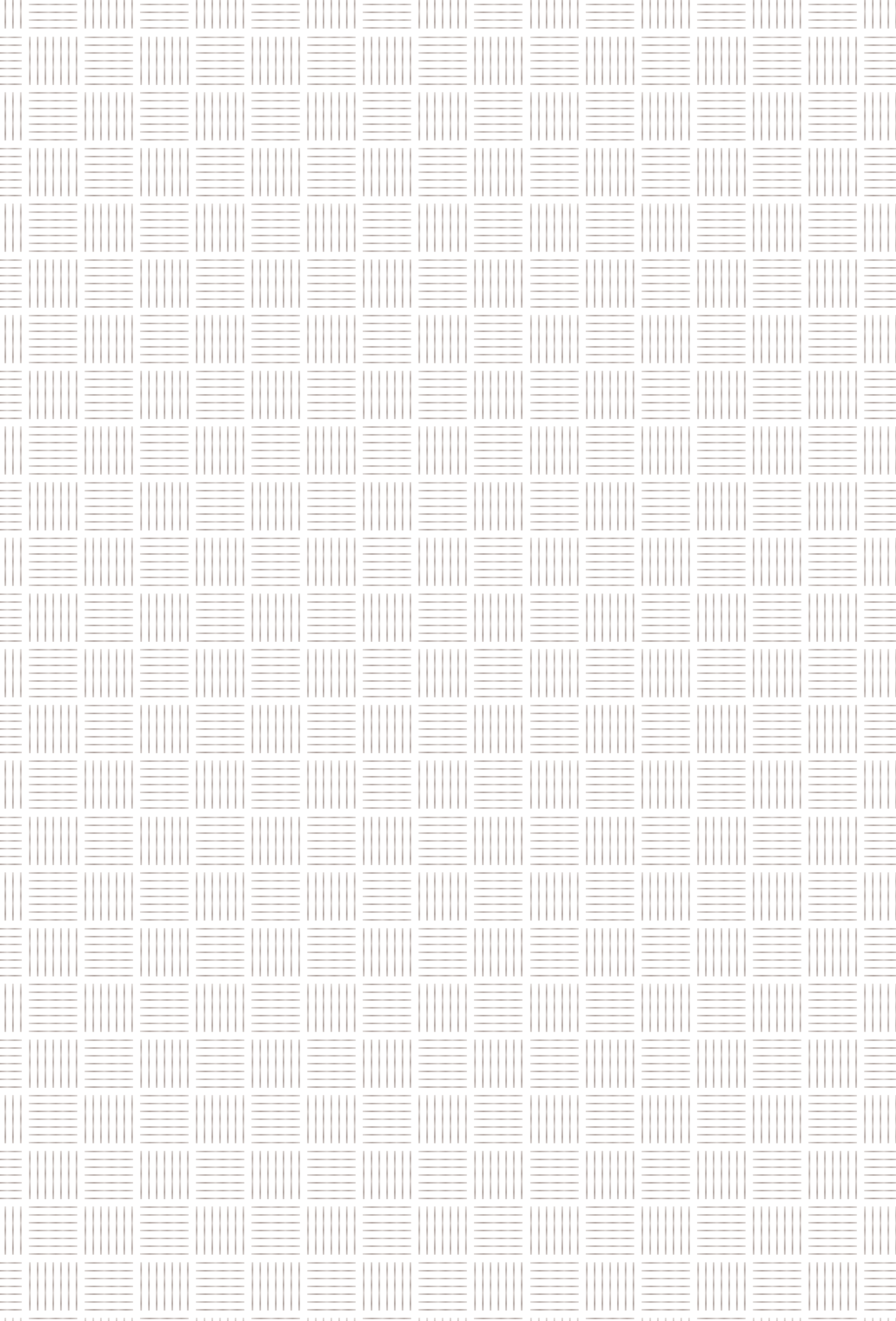
* أخطـر مشـكلة واجههـا الإنسـان هـي الجهـل، الجهـل بذاتـه، وبقدراتـه، وبوطنـه، وبمراكـز قوتـه.

* الوطـن أول مراكـز القـوة، ومجتمـع القيـم، ومحل عمـل النظم، ومـدار الفكر.

* طالمـا أنـك اقتنعـت بنفسـك، وبوطنـك، فحتمًـا ستشـعر باحترامـك، وبدافعيـة للبـذل والعطاء فـي سـبيل الخير، وخدمة البشـرية جمعـاء، ماديًـا، وروحيًـا، ومعرفيًـا..

* النظـرة الاستشـراقية المسـتقبلية تحـدد التصور تجـاه التطورات المنتظـرة للقـوى والمعطيـات، بـل والمشـكلات، فالمسـتقبل وليـد الحاضـر كمـا يقـال.

* الوطـن مشـروع الجميـع، فمـن لا يقتنـع بهـذا المشـروع ليـس جديـرًا بخيـرات الوطـن، ولا بتكريـم الوطن لـه، ولا بتقديـر الوطن له..



علاقة المسلمين بغير المسلمين

إذا كان الإسـلام -وهـو الديـن العالمـي- قـد أمر بعبـادة الله وحده لا شـريك لـه، وإفـراده بالربوبيـة والإلوهيـة، وجعـل ذلك غاية إسـلامية فـي قولـه تعالـى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريـات: ٥٦] فإنـه أمر أيضـا بعمارة الكـون وبناء الحضارة الإنسـانية، ووضع الوسـائل والتشـريعات التـي تكفـل تحقيـق هـذا الغايـة المقـررة فـي قولـه تعالـى: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ [هـود: ٦١] أي طلب منكم عمارتها.

وهاتـان الغايتـان الدينيتان -العبـادة والأعمار- لا يمكـن تحقيقهما إلا فـي ظـل شـجرة السـلام الوارفـة الظـلال؛ التـي تسـكن فـي كنفهـا النفـوس فتنصـرف إلى توحيـد ربها وعبادتـه، وتؤمن فـي حماها الأرواح فتقـوى وتَدْفـع الأبـدان إلى عمـارة الأكـوان. ومن ثم كان مـن الضروري أن يعتنـي الإسـلام بكفالـة السـلام فـي العالم، لأنـه إن لم يعتني بترسـيخ السـلام سـيكون تكليفـه للإنسـان بالعبـادة والعمـران فـي ظـل الصـراع والعـدوان أمـر غير مقدور ولا مسـتطاع، والله تعالـى يقول: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقـرة: ٢٨٦].

والحقيقـة أن الإسـلام اعتنـي بتحقيـق السـلام العالمي أيمـا عناية، وأن منهجـه فـي ذلـك كان منهجـا حكيمـا وسـطيا متوافقـا مـع الفطـرة والطبيعـة التكوينيـة للإنسـان، حيـث اسـتهدف الإسـلام لـم الشـمل

الإنساني حول العبادة والأعمار متى أمكن ذلك، فإن لم يمكن الجمع عليهما بفعل سنة الاختلاف التي فطر الله الناس عليها، ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هود: ١١٨] فبالجمع على ما تيسر منهما وهو نبذ الإفساد وطلب الأعمار، وهذا هو المحور الذي بني عليه السلام رؤيته في العلاقة بغير المسلمين بعد دعوتهم وعدم قبولهم للإسلام، حيث لم يجعل الولاء للمعتقد مانعا من التعايش والاجتماع على صناعة الحضارة، ولم يجعل الاختلاف في الدين سببا لتمزيق العلاقات المتعلقة بشؤون الحياة طالما أنها لم تمس بخصوصية العقيدة، يقول تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨] وهذا ما جسدته السيرة النبوية، وتمثل به المسلمون في تاريخهم، فقد عاش المسلمون في الهند وشرق آسيا وغرب أفريقيا حيث تتعدد المعتقدات، وتتنوع الثقافات، ولم يعهد منهم أن جعلوا اختلاف العقيدة مانعا لهم من التعاون مع أهل هذه البلدان على العناية بأمور الحياة وصناعة العمران، بل جعلوا السلام مع المخالفين في المعتقد هو الأصل وأن الحرب هي الضرورة الملجئة التي يصار إليها لدفع العدوان وإعادة الأمور والعلاقات إلى أصلها السابق، مما كان سببا في شمول حضارة المسلمين لغيرهم دون تمييز بسبب العقيدة.

والواقع أن سر تعايش المسلمين السابقين مع الأمم الأخرى يكمن في التزامهم بمجموعة القيم السلمية الإنسانية التي قررها الإسلام، كقيمة الكرامة الإنسانية العامة المستقلة عن المعتقد، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠]، وقيمة الوحدة الإنسانية، يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٖ وَٰحِدَةٖ﴾[النساء: ١] وقيمة التعاون الإنساني، يقول تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢] إلى غير ذلك من القيم كالتسامح والخيرية والحرية والإخلاص، فهذه القيم الإسلامية هي التي أثمرت انفتاح المسلمين على العالم، حيث مضوا داعيين إلى الله بقول حسن وفعل رحيم، وتواصلوا مع جميع الأمم ودرسوا تاريخهم وتعايشوا معهم وتبادلوا العلوم النافعة فيما بينهم، حتى إنهم لم يجدوا حرجا من دراسة ثقافاتهم، ولم يستنكفوا الثناء على الحميد منها، حتى ألف البيروني كتابه (تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة). أما في الجانب السياسي فقد عقدوا مع المخالفين لهم في العقيدة المعاهدات والاتفاقيات بغية سيادة السلام، وتحاكموا إلى المفاوضات من أجل إيجاد الوئام، وأجروا معهم الحوار من أجل الوصول إلى كلمة سواء ينعم فيها ظلها الجميع بوطن آمن يمارس فيه كل فريق عبادته ويلتزم بعقيدته، وكانت سنتهم في ذلك الالتزام بالشرع، وتحقيق المصلحة، ودرأ المفسدة، وبغيتهم تمكين المسلمين من دينهم، وعمارة الكون كما أمر ربهم.

عقبولة:

❋ كثيـر مـن عظمـاء الأرض منسـيون، يمـرون عليهـا سـريعًا ثـم يرحلـون، بغيـر دور مـن يحيط بهـم، من تقييـد معالم عظمتهـم، ومفاتيح نبوغهـم، ونقـل ذلـك للأجيال.

❋ الأخلاق مفتاح تلاقح الحضارات.

❋ كرامـة الإنسـان مسـتقرة فـي الشـريعة، مهمـا كان دينـهُ، وكانـت بلاده.

رخصة قيادة الحياة

فهـو بحـق وثيقـة المدنيـة ولـم أجـد وأنـا أبحـث عـن عنـوان لهذا المقـال، لـم أجد لـه أبلغ مـن «رخصـة قيـادة الحيـاة» لأن القـوة الناعمة هـي القـادرة في هـذا العصر علـى التأثيـر والتوجيـه، ومفتاحها التسـامح العملـي التطبيقي، فالتسـامح واجب أخلاقـي، وسياسـي، وقانوني، وهو لا يعنـي المسـاواة أو التنـازل أو التسـاهل، وإنمـا يعنـي إقـرار الأفـراد والجماعـات والـدول بحـق الآخريـن فـي التمتـع بحقـوق الإنسـان وحرياتـه الأساسـية المعتـرف بهـا عالميـا، ونبـذ التعصب والاسـتبدادية الفكريـة، والتسـامح لا يعنـي كذلـك تقبـل الظلـم الاجتماعـي، أو تخلي المـرء عـن معتقداتـه أو التهـاون بشـأنها، بـل يعنـي أن المـرء حـر فـي التمسـك بمعتقداتـه وأنه يقبل أن يتمسـك الآخـرون بمعتقداتهـم... مثله علـى حـد سـواء، والدعـوة والتعليـم؛ بالحسـنى، وبالعلـم، وبالتواصـل الحضـاري الإيجابـي معهـم؛ هي مفتـاح التأثيـر الإيجابي عليهـم للخير.

فالتسـامح هو اتسـاع الكـون للخلـق بتنوعهـم العرقـي، والفكري، والثقافـي، والعقـدي الذي خلقهـم الله عليـه، ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هـود، ١١٨]، ليتعايـش الجميـع فيمـا بينهم ولتتكامـل أدوارهـم دون طـرد أو إقصـاء، مـع حفـظ التمايـز والتنـوع؛ والتسـامح بهـذا القدر مبدأ إسـلامي راسـخ، تبدو ملامحه فـي كل تعاليم

الديـن وأحكامـه، لأنه سـلوك واقعي فـي حياة المسـلمين وقيمـة تمكين حيـاة لهـم، فهـو فـي الإسـلام ليـس بالـكلام النظـري المسـتهلك فـي قاعـات التنظيـر، وإنمـا هو أسـلوب حياة ومنهـج مجتمع، ومن ثم عاشـه المسـلمون فـي مجتمعاتهـم وطبقـوه فـي حياتهـم، سـواء فـي علاقاتهم فيمـا بينهـم، أو فـي علاقاتهـم بغيرهـم، ففـي المدينـة تكونـت الدولـة المتسـامحة التـي حكمتهـا الوثيقـة الفريـدة فـي بابهـا التـي جمعـت بين أعـراق مختلفة، وأنسـاب متشـعبة، وثقافـات متباينـة، وديانـات متعددة، فقـد جـاء فيهـا: «هذا كتـاب مـن محمـد النبي -صلـى الله عليه وسـلم- بيـن المؤمنيـن والمسـلمين مـن قريـش ويثـرب ومـن تبعهـم فلحـق بهم وجاهـد معهـم. إنهـم أمـة واحـدة مـن دون النـاس، وإن مـن تبعنـا مـن يهـود فـإن لـه النصـر والأسـوة غيـر مظلوميـن ولا مُتَنَاصِـر عليهـم، وإن يهـود بني عـوف أمـة مـع المؤمنيـن: لليهـود دينهـم وللمسـلمين دينهم ومواليهـم وأنفسـهم إلا مـن ظلم وأثـم فإنه لا يوتغ إلا نفسـه وأهـل بيته، وإن ليهـود بنـي النجـار مثل ما ليهـود بني عـوف وإن على اليهـود نفقتهم وعلـى المسـلمين نفقتهـم، وإن بينهـم النصـر علـى من حـارب أهل هذه الصحيفـة، وإن بينهـم النصـح والنصيحـة والبـر دون الإثم، وإنـه لم يأثم امـرؤ بحليفه وأن النصـر للمظلـوم...»[1].

وهـذا فيه بيان سـعة سـماحة الإسـلام وسـعة تعامله مـع المخالف أيـا كان، ولـذا فـإن ممـا يجـدر التنبيـه عليـه والإشـارة إليـه إحيـاء هـذه

(١) النص بكماله أخرجه ابن زنجويه في كتاب الأموال (٢/ ٤٦٦)، وأرده ابن هشام في سيرته (١/ ٥٠١)، عن ابن إسحاق.

الـروح الطاهـرة فـي حياتنـا... روح التسـامح، ورفـع مسـتوى الوعـي لإدراك ذلـك، وأنـه من أشـرف مقامات من قـام لبيان أمر اللـه جل وعز..

بقي أن نقول:

الطائفيـة تخنـق زهرة التسـامح، وتعمي عين البصيـرة، وتخلق روح التشـاحن بالخطابـات الطائفيـة الرنانـة، والشـعارات الفارغـة التي تعبث بأوتـار قلـوب الأتبـاع والمشـحونة بالموروثـات التاريخيـة لـلأم، والتي مـن هدفهـا تشـتيت الجهـود ووأد مولود التسـامح فـي القلوب..

وتذكروا...

أن التسامح هو القوة الناعمة، ومن جرب عرف.

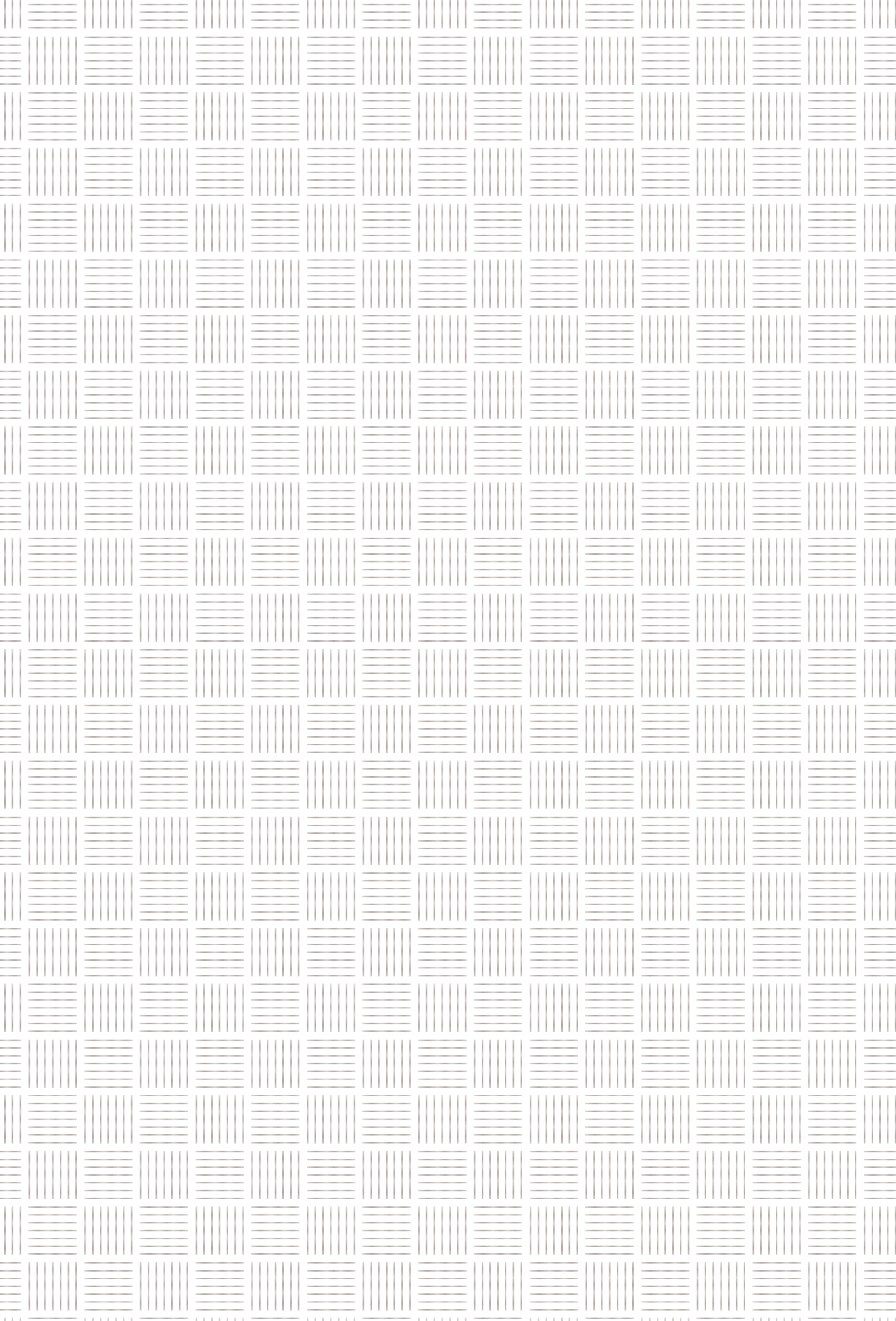
عقبولة:

❋ التسامح في الحياة كالملح في الطعام.

❋ أول خطوات التسامح تبدأ مع الذات.

❋ الألفـة والاقتـراب ممـن نحـب فـي الأزمـان، يصنـع لنـا درعًـا حديديًـا واقيًـا مـن الهمـوم والعمـوم.

❋ فقراء الأخلاق وحدهم الأسوء حالًا في المجتمعات النزيهة.



استووا... اعتدلوا

كـم قالهـا الإمـام فـي محرابـه، ومنـذ متـى وهـو يكررهـا.. يـا جماعـة. الاعتـدال فرصـة يمنحها الفـرد لإصـلاح حياتـه، والتركيز على أولوياتـه، والنجـاح فـي تحقيـق طموحاتـه، وعنـد الاعتـدال الفـردي يتـراص المجتمـع المعتـدل فردًا فـردًا، فيتكـون من ذلك جمهـور معتدل فـي علاقاتـه، وعاداتـه الاجتماعيـة، ويظهـر أثـر ذلك فـي الثمـرة التامة، والقيمـة الجميلـة، والبنـاء التنمـوي الناجـح، والسـلم الاجتماعـي.

وقـد جاء الإسـلام بمنهـج الاعتـدال فيما يتعلـق بأسـاليب التعامل الاجتماعـي بيـن أبنـاء المجتمـع الواحـد فاحترز عـن الصـدام، والعداوة بيـن شـركاء الوطن، وحـرص على حفـظ الحقـوق، وصيانـة الحُرُمات.

فأمـر الإنسـان بالتزام الحُسـن فـي كل ما يقول لِيسُـدَّ بذلـك أبواب الفتنـة علـى الشـيطان الـذي يتربـص لإشـعال العـداوة بين بني الإنسـان، يقـول جل وجـل: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ [الإسـراء: ٥٣].

ولـم يفتـرض الإسـلام مثاليـة المجتمـع، بـل انطلـق مـن حقيقـة اختـلاف الطَّبائِـع وتبايـن الآراء الإنسـانية، فوجَّـه الإنسـان إلـى التَّحلِّـي بالصبـر فـي مواجهـة مـا قـد يجـده مـن الجفـاء ممـن يعاملهـم بالـذوق الرفيـع، وضـرورة التـزام الحُسـنُ فـي ذلـك، يقـول جـل وعـز: ﴿ وَلَا

تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴾ [فصلت: ٣٤]، كما أمر الإسلام بالعفو عمن وقعت منه الهفوة، أو الزَّلة، يقول جل وعز: ﴿ إِن تُبۡدُواْ خَيۡرًا أَوۡ تُخۡفُوهُ أَوۡ تَعۡفُواْ عَن سُوٓءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا قَدِيرًا ﴾ [النساء: ١٤٩].

وفي المقابل حذَّر الإسلام من المساس بحقوق الناس، فلم يقبل بمساسها، وجعل ذلك بيانًا عامًا للأمة، حين وقف رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في خطبة الوداع قائلًا: «فإن دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم، عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ليبلغ الشاهد الغائب»(١)، كل هذا لِيسُدَّ أبواب النزاع داخل المجتمع.

أما في حالة احْتداد النزاع، والاعتداء على الحقوق، وعدم جدوى المعاملة بالحسنى، والعفو، في دفع ظلم الظالم، فقد انتصر الإسلام لصاحب الحق، ومكَّنَهُ من الدفاع عن حقه بالتقاضي إلى الحاكم الذي يطلب البيِّنات ويتتبع الحقائق.

يقول جل وعز: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [النساء:٥٩]، وهكذا كان حال الإنسان في ظل الإسلام ما بين حسنى، وصبر، وعفو، واحتكام إلى شرع الله جل وعز.

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٢٤)، برقم (٦٧)، ومسلم (٢/ ٨٨٦)، برقم (١٢١٨).

وقد كان لهذا المنهج المعتدل الجامع بين العفو، والانتصار للحق، والمتوازن، أثرًا كبيرًا في تشييد بناء السلم الاجتماعي، فقد أسس للوئام بين الناس، وهذَّب من الاختلاف المُشين الذي يمكن أن ينال من وحدة المجتمع، فبعدما كان العرب في الجاهلية يحتكمون للسيف ويقتتلون في أتفه الأمور، صاروا يحتكمون إلى دين الله.

بوسطيته، واعتداله، وتوازنه، فزال بذلك الشقاق الفج، والنزاع الفاجر، وقد حفظ لنا التاريخ صورًا متعددة لحالة السلام الاجتماعي التي كان يعيشها المجتمع المدني، والتي كان يسودها الوئام اللطيف، والاختلاف الحكيم، وهكذا كان ماء الاعتدال ريًّا للوارد عليه، وقصَّاده، فمن تربته نبتت أشجار السلامة الوارفة التي جني الإنسان منها السلامة والإسلام، والعدل، والاعتدال، والوسطية، والتوسط.

بقي أن أقول: الاعتدال منهاج وفضيلة، ينبغي أن تُربَّى عليه النفوس، لِيُطَهِّر تربتها بالتوسط المحمود شرعًا، وعرفًا، وعقلًا.

عقبولة:

* الاعتدال ليس دعوى، بل قول وعمل واعتقاد.

* المعتدل لا يؤثر عليه شيء من المؤثرات.

* التحيز للتيارات الفكرية، والأحزاب السياسية يصنع من مدعي الاعتدال أكذوبة العصر.

* أقوال الأقران بعضهم في بعض ينبت التعصب، وينبئ بذهاب الاعتدال وفرار ميزانه.

❋ مفاتيح ميزان الاعتدال في أمور منها:

- محبة الحق، والبحث عنه.

- الإنصاف في البحث، والبعد عن محاكمة الناس.

- النظر في الفكرة، لا في مفكرها، والموضوعية قدر الوسع والطاقة.

- طلب العون من الله جل وعز.

الإسلام ونظرية الخير العام

التعاون على الخير العام؛ من جوهر دعوة الإسلام العظيم وما التشارك في «الأخوة الإنسانية»، الدعوة فطرية للاجتماع على «الخير العام» وما مبادئ الإسلام الكبرى إلا داعية ومبينة لذلك، فالأخوة الإنسانية التي تربط بين الجميع برباط وحدة الأصل الآدمي، والصداقة الوفية التي تنقِّي الضمائر وتقدِّر الأعذار، واحترام إرادة الآخر الذي يغرس الوئام في القلوب، والالتزام بالنظام العام للدول الذي يسد الذريعة إلى الإفساد، كل ذلك من أهم العوامل التي يتوقف عليها قيام السلام وتحقيق الخير العام في الأنام، بل لي أن أقول:

إنه لا يمكن أن يتحقق الخير العام إلا إذا توفرت له هذه المقومات...

ودعوة الإسلام إلى الالتفاف حول الخير العام دعوة جوهرية عالمية شاملة، أجدها في قوله جل وعز: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

فلفظ الخير الوارد في الآية في قول بعض المفسرين؛ يصدق على كل خير، ومن ثم فإن المسلمين مأمورون أولا بالبحث عن كل خير، ومشاركة غيرهم في ذلك، أينما كان مكان الخير؛ في الشرق أو في الغرب، لأن البحث عن الخير من مبادئ ومقتضيات الدعوة إليه؛

إذ لا تتصور دعوة المسلمين إلى الخير إلا بعد معرفتهم به، ولو أنهم تركوه لأنه عند غيرهم؛ لكان ذلك إخلالا منهم بتكليفهم وموجبات إيمانهم.

ثم إنهم إن وقفوا على الخير؛ أيما كان مصدره منهم أو من غيرهم، فإنهم مكلفون بالأخذ به ومشاركة غيرهم في ذلك، ليكونوا كما وصفهم جل وعز: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١١٠].

فالأمة الخيِّرة هي الأمة المتلبسة بالخير، كما أنهم مكلفون مع ذلك بمعونة غيرهم للعمل بالخير والانتفاع بأثره، لقوله جل وعز: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة:٢].

والبر اسم جامع لكل خير، ولو أنهم أمسكوا عن المشاركة في الخير أو التعاون عليه لكونه من اكتشاف غيرهم؛ لكان ذلك أيضا إخلالا منهم بتكليفهم وموجبات إيمانهم.

وإذا كان المسلمون مكلفين فوق ما سبق بدعوة الناس إلى الخير الذي عرفوه، وأعظمه التوحيد؛ وأخذوا به حتى لا يقف الانتفاع به عندهم، فإن مما ينبغي لهم عند ذلك وهم بصدد الدعوة أن يشملوا غير المسلمين بالدعوة إلى الخير، لأن الأمر في الآية أمر عام شامل للبشر جميعا على اختلاف أديانهم وأجناسهم وألوانهم، يقول الطاهر ابن عاشور -رحمه الله- في تفسير هذه الآية: «وحذفت مفاعيل يدعون، ويأمرون، وينهون؛ لقصد التعميم، أي يدعون كل أحد»[1].

(١) التحرير والتنوير (٤/ ٤٠).

ومما سبق يتبين لنا أننا نحن المسلمين مأمورون بالاجتماع مع الآخر حول الخير؛ بحثا، وعملا، وتعاونا، ودعوة، حيثما كان هذا الآخر في الشرق أو في الغرب، وأيما كان أيضا، وأننا مأمورون بالالتزام مع الآخر بمبادئ الأخوة الإنسانية، والصداقة الوفية، وقواعد النظام العام الخاصة بكل قطر، لأن دعوة الإسلام إلى تحقيق الخير العام في الوجود تنطوي على مشروعية كل هذه القيم الجليلة المؤسسة له، وغيرها مما لا يقوم الخير العام إلا به، شكر الله لكل داع إلى الخير العام، فلا يتحمل العودة إليه إلا من كان له؛ حظ من سعة الأفق، وبعد النظر، بما يخدم الإنسانية جمعاء، وبما يسهل على المسلم التعامل مع غيره بروح العطف واللطف، والإحسان، وهذا ما يجعل شعار «الإسلام للجميع» شعار الحياة... علما... وعملا ودعوة... وصبرا..

بقي أن أقول:

الإسلام للجميع شعار للجميع،... دام خيركم العام للدنيا...

وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

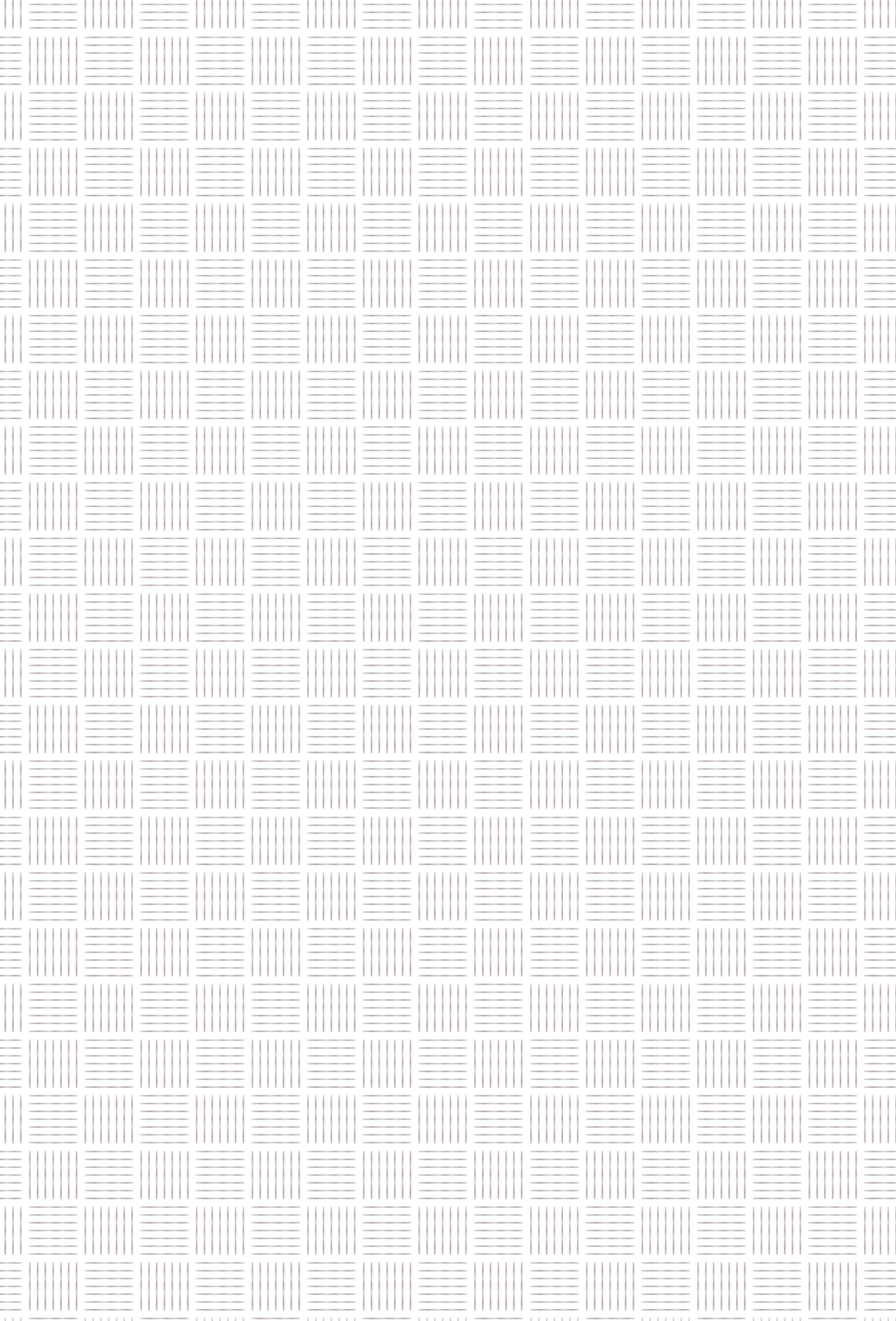
عقبولة:

❋ «الكلام الليّن يظهر الحق البيّن» كما في عاميِّ الأمثال.

❋ البر، كلامٌ ليّن، ووجهٌ طليق.

❋ الإسلام للجميع.. ليست شعارًا فحسب، بل قول وعمل واعتقاد.

❋ تصدقون أننا أبناء رجلٍ واحد، وأُمٍّ واحدة.



أبق الوعي الفكري حيا

لتبقى الحياة ويبقى السلام، وتبقى أنوار الهداية، فالوعي الفكري يولد في نفس معتدلة ويزينها بالهدوء والطمأنينة والأمل، مما يجعل فيها التفاؤل مسلك حياة، ومفتاح رقي بالروح إلى سنام الثقة، وكذلك مفتاح رقي لتحقيق الطموح، وكذلك يغمرها بالحب والإحسان، مما يساهم في المستوى المادي أيضا على رفع معدلات الإنتاجية والانسجام مع الآخرين، والاتساق مع الحياة.

والمؤمن الواعي أهدافه في الحياة واضحة، ومن ثم فهو ينأى بنفسه عن الانهماك في الصوارف والمشكلات والمجريات اليومية التي قد تستهلك عليه حياته، وصحته، والوعي الفكري بأمر الله جل وعز؛ يغرس في النفس مخافته سبحانه؛ لأن من يعرف الله حق المعرفة، وقف عند حدوده حق الوقوف، والوعي الفكري كذلك يمد صاحبه بالشجاعة القلبية في قوله وعمله، ويجعله نزيهًا عن تعاطي ما حرم ربه عليه، وعفيفا عما كرهه له، ومتطلعا لحياة سعيدة بتحقيق أمر ربه جل وعز، مما يجعل من صاحبه أسوة حسنة، في نظرته للحياة نظرة اتزان، واعتدال، والقناعة بما قسمه الله له، حتى أنه ليستشعر نعم المولى جل وعز عليه، ويدركها بقلبه قبل جوارحه ولسانه.. وهو بذلك يستشعر إن هذه المبادئ والقيم التي أحاطها وعيه، وانتظمت بها حياته، لتضفي عليه ماء الحياة نقيا طاهرا...

بقي أن أقول:

الوعـي الفكـري ليس مشـروع فرد فحسـب بـل والله إنه لمشـروع حيـاة يحتـاج إلـى الحراسـة مـن المهـددات، كالجماعـات والأحـزاب المخالفـة لكتـاب الله، ولسـنة نبيـه صلى الله عليـه وسـلم والدافعة بفكر الشـباب قليلـي الخبـرة بالحيـاة، وقليلـي التحصيـل العلمـي؛ إلـى الغلو والجفـاء أو الإفـراط والتفريـط، والخـروج علـى ولـي أمـر المسـلمين وإمامهـم، ونبـذ السـمع والطاعـة، وإتبـاع الهـوى وسـوء الظن..

إن الغلـو وعـدم الوعـي بـه، حتى ينغـرس في عقـول أهـل الجهل، والجهالـة، لا يـؤدي فقـط إلـى الطعـن فـي مبـادئ وأخلاقيات الإسـلام وزعزعـة صـف جماعـة المسـلمين، والافتـآت علـى إمامهـم، ومحاولة إضعـاف سـلطانه، وتشـتيت جهـوده، بـل يـؤدي أيضًـا إلـى إيجـاد بيئـة خصبـة لظهـور البـدع والمحدثات، وتسـهيل مسـارات الضـلال والفتن؛ بـل وأخطـر مـن ذلـك؛ الصد عـن سـبيل اللـه، وتشـويه الصـورة الذهنية عن الإسـلام فـي المخيـال البشـري...

عقبولة:

* الغلو شجرة تنبت في بذرة البدعة، والبعد عن سبيل المؤمنين.

* مَثَـلُ البدعـة مَثَـلُ مفتـرق الطـرق، يقـف عنـده النـاس، ثـم كُلٌّ يتجـهُ لوجهتـه، فبعـد أن كان يفصلهـم عـن بعضهـم بضعة أمتـار، أصبح يفصلهـم عـن بعضهم الكيلـو والكيلويـن، والثلاثة، والعشـرة، وكلما زاد العبـد بعـدًا عـن السـنة زاد بعدًا عـن سـبيل المؤمنيـن، وعـن التوفيق.

وللروح بصمة

كنت في حديث جانبي مع زميل في بعض مواقع التواصل؛ عن الآثار الشخصية على المعرفة، وعلى الأقوال العلمية والآراء الشرعية، ووقفت بعد ذلك على مواقف عجيبة في أثر الشخصية على الجانب المعرفي، وبالتأمل تجد أن بعض الأشخاص لديه قابلية الوفاق، قد ركب في شخصيته، فلا تراه إلا متصالحا مع الناس، ومع نفسه، بل؛ وآراءه المعرفية فيها الكثير من التصالح مع ما يناسب خلقه المغروس فيه، ولو كانت آراء شرعية في مسائل علمية؛ ومن الناس من لديه قابلية للتشنج، وللاحتداد على الرأي، ولفرض الفكرة على غيره، فيظهر ذلك في اختياراته المعرفية، بل وفي مواقفه الحياتية، وفي شؤونه الاجتماعية بشكل عام، حتى يكون كالبصمة على شخصيته، وتجد من الناس من لديه قابلية التوازن الشخصي، وتوازن المواقف، وتجد ذلك في فكره وسلوكه، وعلاقاته الحياتية والاجتماعية، حتى لكان التوازن أثر من آثاره في هذه الدنيا، ولذا ينبغي على الباحثين؛ إدامة النظر وكثرة التأمل في الظروف المحيطة بالأقوال، وأصحابها، وهذا يكسب الباحث وجها من أوجه النسبية جميل؛ ليسع صدره؛ أقوال المخالفين، ويستبطن دوافعهم الخارجية والداخلية في هذه الأقوال والمواقف، ولو أخذنا مثالا تطبيقيا على

مـا أسـلفته، فـي أسـباب ظهـور الأفـكار المتطرفة فـي عصرنا؛ لـكان من أبرزها الاسـتعدادات الشـخصية والظـروف الخاصة والتـي منها الجانب النفسـي الناجـم عـن اختـلال القيـم، والفـراغ الروحـي، والاضطـراب، والقلـق، وفقـدان الشـخصية السـوية، وعـدم الاتـزان، بالإضافـة إلـى انعـدام الفـرص الحياتيـة التـي تحقـق طمـوح الفـرد، وأحلامـه، وهـذه كلهـا قـد تؤدي إلـى الإحباط واليـأس مما يولـد الرغبة فـي الانتقام، لكن الدافـع الذاتـي حاضـر، وأثر الاسـتعداد النفسـي والمعرفـي؛ فمن يملك غريـزة عدوانيـة فـي ذاتـه، يكـون أقرب إلـى ارتـكاب الجرائـم بمختلف أنواعها، ولديه الاسـتعداد للمشـاركة والمسـاهمة في أي عمـل عدواني، فهـذه الرغبـة تجعل الفـرد أكثر عدوانيـة، وتقوي الرغبة لديه في السـيطرة علـى الآخريـن، خصوصا إذا وجد مسـوغا شـرعيا بناه على ما اسـتقر في نفسـه مـن طبيعـة الاسـتعدادات المذكـورة آنفا.

ولـذا فـإذا حـاول الفـرد تصحيح مداخـلات أفكاره، وجاهد نفسـه فـي نبذ الآثـار الخارجية عليهـا، وحاول ضبـط الآثار الداخليـة منها على المعرفـة بسـؤال اللـه التوفيـق، والإلهـام للرشـد، وبالاجتهاد فـي تحري الحـق، وكمـال البحث والتدقيـق؛ مما يجعله يسـعى في أن يكـون مورثه الفكـري علـى مـا كان عليـه الصحابـة الكـرام وسـلف الأمـة الصالـح، ومـن تبعهم بإحسـان، وشـخصية الصديـق، والفـارق، رضي اللـه عنهما وأرضاهمـا؛ خيـر مثـال للمقـال، وتكـون الخلاصـة؛ فـي أن الجانـب النفسـي، والوجدانـي للإنسـان، والاسـتعدادات الذاتيـة؛ لهـا دور كبيـر

فـي تكوين الإطـار الفكـري والمعرفي لـه؛ إذ إن الغرائز الدافعة للسـلوك البشـري تتفـاوت، فبعضهـم تكوينـه النفسـي، أو العقلـي، أو الوجدانـي، مكتسـب أو وراثـي، ولـذا فلـن يحصـل الاسـتقلال الفكري للفـرد حتى يتحـرر مـن التقليـد كسـلوك منهجـي، والانفعـال الثقافـي بـكل مـا يرده مـن مؤثـر نفسـي أو وجدانـي، مـع جعـل موطـن شـفيق لطيف، بيـن أثر ذلـك العلـم، وبين ماهيتـه في الـروح، وضبـط النفس بنصوص الشـريعة ومقاصدهـا؛ يحصـل على تـوازن الحياة العلميـة، والعمليـة، ويتجرد منه الـرأي و يكـون معـه القـرب للصـواب، والتوفيق...

بقي أن أقول:

شـكرا لمـن أوقـد شـمعة الفكـر للحديـث حـول مفصـل شـفيق لطيـف، مـن مفاصـل التأثيـر علـى المعرفـي...

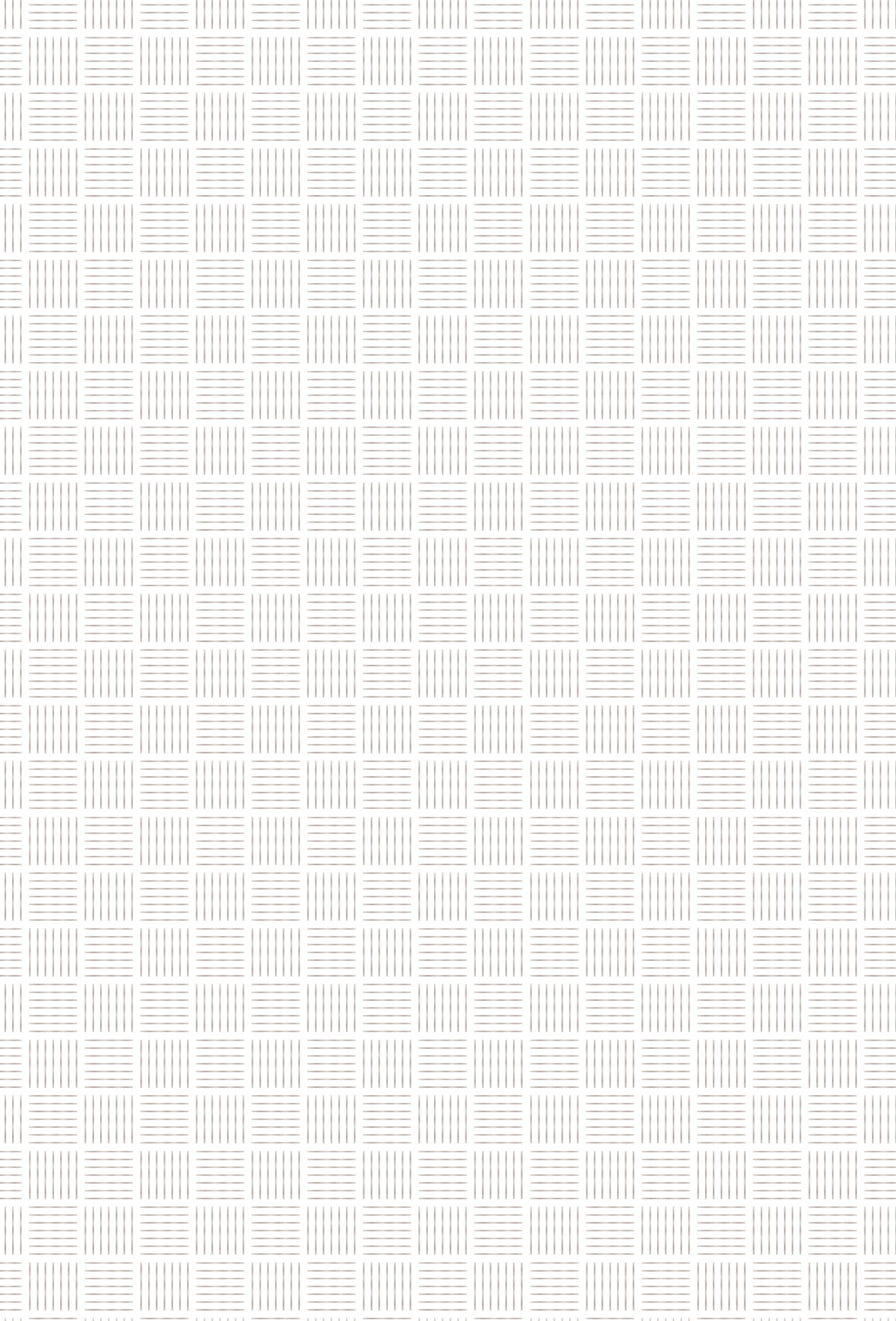
شكرا سعادة الدكتور محمد آل زريب..

عقبولة:

* لـكل شـيء عُمْـر، حتـى للفكرة، لهـا ميلاد ولهـا تأريـخ، ولها ما قبلها ومـا بعدها.

* السياق والسباق واللحاق، مؤثرة في المفهوم.

* عمليـة التعلـم عمليـة تراكميـة، بنائيـة طويلة مدى، وكـذا، عملية بناء المفاهيـم المعرفية.



(الإسلام... والسلام العالمي)

يا سلام سلمنا وسلم لنا وسلم بنا وسلم منا «اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام».

إذا كان الإسلام -وهو الدين الخاتم و الأخير في العالم- قد أمر بعبادة الله وحده لا شريك له، وإفراده بالربوبية والإلوهية، وجعل ذلك غاية إسلامية في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] فإنه أمر أيضا بعمارة الكون وبناء الحضارة الإنسانية، ووضع الوسائل والتشريعات التي تكفل تحقيق هذا الغاية المقررة في قوله تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود:٦١] أي طلب منكم عمارتها.

وهاتان الغايتان الدينيتان -العبادة والأعمار- لا يمكن تحقيقهما إلا في ظل شجرة السلام الوارفة الظلال؛ التي تسكن في كنفها النفوس فتنصرف إلى توحيد ربها وعبادته، وتؤمن في حماها الأرواح فتقوى وتَدْفع الأبدان إلى عمارة الأكوان. ومن ثم كان من الضروري أن يعتني الإسلام بكفالة السلام في العالم، لأنه إن لم يعتني بترسيخ السلام سيكون تكليفه للإنسان بالعبادة والعمران في ظل الصراع والعدوان أمر غير مقدور ولا مستطاع، والله تعالى يقول: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

والحقيقة أن الإسلام اعتني بتحقيق السلام العالمي أيما عناية، وأن منهجه في ذلك كان منهجا حكيما وسطيا متوافقا مع الفطرة والطبيعة التكوينية للإنسان، حيث استهدف الإسلام لم الشمل الإنساني حول العبادة والأعمار متى أمكن ذلك، فإن لم يمكن الجمع عليهما بفعل سنة الاختلاف التي فطر الله الناس عليها، ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هود: ١١٨] فبالجمع على ما تيسر منهما وهو نبذ الإفساد وطلب الأعمار، وهذا هو المحور الذي بني عليه السلام رؤيته في العلاقة بغير المسلمين بعد دعوتهم وعدم قبولهم للإسلام، حيث لم يجعل الولاء للمعتقد مانعا من التعايش والاجتماع على صناعة الحضارة، ولم يجعل الاختلاف في الدين سببا لتمزيق العلاقات المتعلقة بشؤون الحياة طالما أنها لم تمس بخصوصية العقيدة، يقول تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨] وهذا ما جسدته السيرة النبوية، وتمثل به المسلمون في تاريخهم، فقد عاش المسلمون في الهند وشرق آسيا وغرب أفريقيا حيث تتعدد المعتقدات، وتتنوع الثقافات، ولم يعهد منهم أن جعلوا اختلاف العقيدة مانعا لهم من التعاون مع أهل هذه البلدان على العناية بأمور الحياة وصناعة العمران، بل جعلوا السلام مع المخالفين في المعتقد هو الأصل وأن الحرب هي الضرورة الملجئة التي يصار إليها لدفع العدوان وإعادة الأمور والعلاقات إلى

أصلها السابق، مما كان سببا في شمول حضارة المسلمين لغيرهم دون تمييز بسبب العقيدة.

والواقع أن سر تعايش المسلمين السابقين مع الأمم الأخرى يكمن في التزامهم بمجموعة القيم السلمية الإنسانية التي قررها الإسلام، كقيمة الكرامة الإنسانية العامة المستقلة عن المعتقد، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠]، وقيمة الوحدة الإنسانية، يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٖ وَٰحِدَةٖ﴾ [النساء: ١] وقيمة التعاون الإنساني، يقول تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢] إلى غير ذلك من القيم كالتسامح والخيرية والحرية والإخلاص، فهذه القيم الإسلامية هي التي أثمرت انفتاح المسلمين على العالم، حيث مضوا داعيين إلى الله بقول حسن وفعل رحيم، وتواصلوا مع جميع الأمم ودرسوا تاريخهم وتعايشوا معهم وتبادلوا العلوم النافعة فيما بينهم، حتى إنهم لم يجدوا حرجا من دراسة ثقافاتهم، ولم يستنكفوا الثناء على الحميد منها.

أما في الجانب السياسي فقد عقدوا مع المخالفين لهم في العقيدة المعاهدات والاتفاقيات بغية سيادة السلام، وتحاكموا إلى المفاوضات من أجل إيجاد الوئام، وأجروا معهم الحوار من أجل الوصول إلى كلمة سواء ينعم في ظلها الجميع بوطن آمن يمارس فيه كل فريق عبادته ويلتزم بعقيدته، وكانت سنتهم في ذلك الالتزام بالشرع، وتحقيق المصلحة، ودرأ المفسدة، وبغيتهم تمكين المسلمين

مـن دينهـم، وعمـارة الكـون كمـا أمـر الله جـل وعز.

عقبولة:

* إسلامنا للدنيا كلها، وليس لنا فحسب.

* نحتاج إلى مرونة في فهم إطار الإسلام العام.

* القيم، والنُظم، والفكر، مُقَدَّرة في الإسلام.

مركز الحوار الوطني وسبل الاستفادة منه

لقـد أضحـى الحـوار والتواصل بيـن الأمم مـن المسـلمات التي لا تقبـل الشـك، ولـم لا وقـد أصبح العالـم -كما شـاع- قرية صغيـرة، ففي ظـل هـذا الانفتـاح الكبيـر والعولمـة الحديثـة أصبـح الانعـزال والتقوقع أمـرًا منبـوذًا، فـلا يصـح لدولـة مـن الـدول أو مجتمـع مـن المجتمعات أن يعيـش بمعـزل عـن العالـم بمتغيراتـه وتطوراتـه وأحداثه ومسـتجداته ومشـكلاته وقضايـاه، فالحوار والتواصـل بين أفراد المجتمـع الواحد، أو بيـن الـدول ونظيراتها مـن العالـم أضحى ضـرورة ملحة يفـرض وجوده وآثـاره وتبعاته.

وفـي ظـل هـذا الواقـع وبنـاءً علـى مسـتجداته، صـدر أمـر خـادم الحرميـن الشـريفين الملـك فهـد بـن عبـد العزيـز -رحمـه الله- بإنشـاء مركـز الملـك عبـد العزيز للحـوار الوطنـي كهيئـة وطنية مسـتقلة، وعلى إثـر ذلـك بُـدء فـي أعمـال التأسـيس وشُـكلت اللجـان المختصـة، وكذا الأطـر التنظيميـة والإداريـة اللازمـة.

وقـد جـاءت فكـرة المركـز بالأسـاس للسـعي علـى نشـر ثقافـة الحـوار وتعزيزهـا في المجتمـع وأن يكون قنـاة موثوقة للتعبير المسـئول فـي مختلـف القضايـا الوطنيـة وفـق آليـات ووسـائل فاعلـة مبنيَّـة علـى الوسـطيَّة والاعتـدال واحتـرام التعددية والتنـوع لتعزيز الوحـدة الوطنيَّة.

وكـذا الإسـهام فـي صياغـة خطـاب إسـلامي متـوازن يسـتمد قوته مـن قـوة الشـريعة الإسـلامية، ويحافـظ بـدوره علـى الوحـدة الوطنيـة، ونشـر لغـة تفاهم وحوار بيـن أفراد المجتمـع تؤدي بدورهـا إلى تحصين العقـل المجتمعـي وتهيئتـه لتقبـل الأفـكار الإبداعية الخلاقـة التي تصب فـي مصلحـة الوطـن والمواطن.

ويسـعى المركـز إلـى تفعيـل مـا أُشـير إليه عبر عـدد مـن الأهداف، ذكرهـا القائمـون علـى المركز، وهـي كالتالي:

١- مناقشـة القضايـا الوطنيَّـة الاجتماعيَّـة والثقافيَّـة والسياسـيَّة والاقتصاديَّـة والتربويَّـة وغيرهـا، وطرحهـا مـن خـلال قنـوات الحـوار الفكـري وآلياتـه.

٢- تشـجيع أفـراد المجتمـع ومؤسسـات المجتمـع المدنـي علـى الإسـهام والمشـاركة فـي الحـوار الوطنـي.

٣-الإسـهام فـي صياغة الخطاب الإسـلامي الصحيـح المبني على الوسطيَّة والاعتدال.

٤-الإسـهام فـي توفير البيئـة الملائمة لإشـاعة ثقافة الحـوار داخل المجتمع.

٥- وضع رؤى إستراتيجية لموضوعات الحوار الوطني.

وقـد راعـت أهداف مركـز الحوار الوطنـي بعض الأطـر العامة التي تنظم أنشـطة المركز ووسـائله وآلياته، ومنها:

الإطار الاجتماعي:

وقد رُوعي في هذا الإطار ما للمجتمع السعودي من ثوابت دينية واجتماعية تميزه عن غيره من المجتمعات، وهذا لا يعني بالضرورة الانغلاق على الذات والانعزال عن العالم، بل وُضعت الضوابط التي تحقق أهداف المركز، مراعية في الوقت ذاته خصوصية المجتمع، ومن ذلك:

١- رفض الظواهر الاجتماعية السلبية التي تعاني منها بعض المجتمعات، وحماية المجتمع السعودي منها، من خلال تفعيل المؤسسات والمراكز الاجتماعية والتربوية.

٢- إبراز عظمة النظام الاجتماعي الإسلامي، وبيان شموليته وعدله للبشرية.

٣- قبول القيم الإنسانية النبيلة التي تتوافق مع ثوابت الشريعة.

٤- المشاركة الجادة والفاعلة مع القضايا الاجتماعية النبيلة، كقضايا حقوق الإنسان، وحقوق ذوي الاحتياجات الخاصة، وقضايا الفقر والبطالة.. إلخ.

الإطار السياسي:

وهذا الإطار ينطلق من الأهداف التالية:

١- تفعيل دور سفارة المملكة العربية السعودية في الخارج بما يعزز التواصل الإيجابي مع الآخرين.

٢- تعزيز أواصر الإخوة واللحمة الإسلامية بين الدول العربية؛ للوصول إلى أعلى درجات التلاحم والإخاء.

٣- التعامل الراقي مع الأجانب وحماية حقوقهم على أرض المملكة.

٤- الالتزام بالعهود والمواثيق الدولية التي تؤسس لقيم العدل والتسامح ونشر ثقافة سياسية رصينة.

الإطار الاقتصادي:

وهذا الإطار ينطلق من الأهداف التالية:

١- إبراز الدور الحيوي للمملكة العربية السعودية في المنطقة وبيان ثقلها الاقتصادي على الساحة الدولية.

٢- تعزيز قيمة ودور الصناديق التنموية التي تقدم المعونات للدول والشعوب الأخرى، بما يعزز ثقافة التواصل مع الآخر.

٣- المضي قدمًا في تحقيق التكامل الاقتصادي بين الدول الإسلامية والعربية.

٤- جذب الاستثمارات الأجنبية، وخلق مناخ اقتصادي يشجع على الاستثمار داخل المملكة.

أفكار للاستفادة من مركز الحوار الوطني:

لاشك أن الأهداف السامية التي من أجلها أُسس مركز الحوار الوطني، وجه الأنظار إلى البحث والتنقيب عن أفكار جديدة للاستفادة

مـن مركـز الحـوار الوطني، وبـدا لي منها مـا يلي:

- إنشـاء مراكـز حـوار متعـددة الأغـراض على غـرار مركـز الحوار الوطني:

إن النجـاح الـذي حققه مركز الحـوار الوطني في نشـر ثقافة الحوار والتعايـش وبنـاء لغـة التفاهـم وقبول الآخـر، أضحـى مُلهمًـا للعديد من الأفـكار والمشـروعات ذات الصلـة، فالحاجـة ماسـة وملحـة -مثـلاً- لإنشـاء مركـز الحوار الإنسـاني، فكما يسـعى مركز الحوار الوطني لنشـر ثقافـة الحـوار بيـن أفـراد المجتمـع، فما المانـع من إنشـاء مركـز الحوار الإنسـاني لنشـر ثقافـة التكافـل المجتمعـي، وتقديـم التجـارب الإبداعية الناجحـة للقضـاء على مشـكلات الفقـر والعوز.

- توسـيع نطـاق التعـاون المشـترك بيـن الأكاديميـات العلميـة والجهـات ذات العلاقـة، مـع مركـز الحـوار الوطنـي.

- الاسـتفادة مـن الجهـود التـي يبذلها المركـز للوقاية مـن التطرف وحماية الشـباب والأسـر مـن هذه الآفـة التي تهـدد أمن وسـلامة الوطن والمواطن.

- الاستفادة من الأنشطة التدريبية التي تقيمها أكاديمية الحوار.

- الاسـتفادة مـن الفعاليـات التـي تناقـش القضايـا الوطنيَّـة والاجتماعيَّـة والثقافيَّـة والسياسـيَّة والاقتصاديَّـة والتربويَّـة التـي تتـم مـن خـلال مركـز الحـوار، وطرحهـا من خـلال قنـوات الحـوار الفكري وآلياتـه المختلفـة.

– الاسـتفادة مـن مشـروع سـفراء الوسـطية، الـذي يسـعى لنشـر الوسـطية والاعتـدال بيـن الطلبـة، والـذي أطلقه المركـز سـابقاً بالتعاون مـع عـدد مـن الجامعـات فـي المملكة.

عقبولة:

❋ الحوار حياة.

❋ علموا أبناءكم حُبَّ الحوار، وآدابه.

❋ كل فضيلة تنتشر بالحوار الجيد.

المواطنة الشاملة والانتماء بين صحيفة المدينة النبوية ووثيقة مكة المكرمة

الوطـن والمواطنـة والتوطـن والتوطيـن مصطلحـات لغايـة مفهوم واحـد هـو؛ أن للمـكان حرمة كمـا أن لأهله حرمـة وما المواطنة الشـاملة لـكل تعديـات المجتمـع الواحد؛ إلا اسـتحقاق تمليـه مبـادئ العدالة في الإسـلام لعموم التنـوع الاجتماعـي والوطني..

ومقصـودي مـن ذلـك، تقريـر مبـدأ المواطنـة الشـاملة ثابـت فـي صحيفـة المدينـة النبويـة، و أكد القـرآن الكريم علـى مكانـة الوطن، وأن للديـار حرمـة، والاعتـداء عليها بإخراج أهلهـا منها أو إذلالهـم فيها تعتبر فعلـة شـنعاء وجريمـة نكـراء في حـق أهلـه، وللوطن حـق علـى أهله ألا وهـو الحـب، وحـب الوطـن أسـاس لمـن يعيـش فيـه؛ لـذا يصبـح هـذا الإنسـان مواطـن لـه مكانتـه ووضعه، وصـدق شـوقي بقوله:

وللأوطان في دم كل حُرٍّ...

يد سلفت ودين مستحقٌّ..

وقـد أشـارت صحيفـة المدينـة النبويـة إلـى قضيـة المواطنـة، فقـد اعتبـرت الصحيفـة اليهود جـزءًا مـن مواطني الدولـة المسـلمة، وعنصرًا مـن عناصرهـا، فقـد نصت على مـا يلي:

«وإن مـن تبعنـا من يهود فإن له النصر والأسـوة، غيـر مظلومين ولا

متناصر عليهم»[١]، ثم ازداد هذا الحكم إيضاحاً في نص آخر، حيث يقول صلى الله عليه وسلم: «وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين».

وبهذا يكون الإسلام قد اعتبر أهل الكتاب الذين يعيشون في أرجائه مواطنين، وأنهم أمة مع المؤمنين، ما داموا قائمين بالواجبات المترتبة عليهم، فاختلاف الدين، ليس سبباً بمقتضى أحكام الصحيفة؛ للحرمان من مبدأ المواطنة والانتماء..

وأما مقصودي الآخر فبيان ما جاء حول مبدأ المواطنة الشاملة في وثيقة مكة المكرمة...

وقد نصت وثيقة مكة المكرمة على إقرار مبدأ المواطنة بالنص التالي:

«المواطنة الشاملة استحقاق تمليه مبادئ العدالة الإسلامية لعموم التنوع الوطني، يُحترم فيها الدستور والنظام المعبر عن الوجدان الوطني بإجماعه أو أكثريته، وكما على الدولة استحقاق في ذلك؛ فعلى مواطنيها واجبَ الولاء الصادق، والمحافظة على الأمن، والسلم الاجتماعي، ورعاية حمى المحرمات والمقدسات، وذلك كله وفق مبدأ الاستحقاق المتبادل، والحقوق العادلة مع الجميع، ومن بينهم الأقليات الدينية والإثنية»[٢].

---

(١) هذا النص من وثيقة المدينة، وما بعده من نصوص؛ أخرجه ابن زنجويه في كتاب الأموال (٢/ ٤٦٦). وأورده ابن هشام في سيرته (١/ ٥٠١) عن ابن إسحاق.

(٢) عن مؤتمر «وثيقة مكة المكرمة»، المنعقد خلال الفترة ٢٢- ٢٤ من شهر رمضان المبارك لعام ١٤٤٠هـ، الموافق ٢٧-٢٩ من شهر مايو لعام ٢٠١٩م، بمكة المكرمة حرسها الله وزادها تشريفًا.

إن المجموعـة البشـرية التـي تكونـت منهـا أمـة الدولـة المسـلمة، هـم المؤمنون والمسـلمون، فأعطتهـم صحيفة المدينـة؛ أعظم خصائص الانتمـاء للإسـلام، الـذي أسـقط الانتمـاء إلـى القبليـة وتجاوزهـا إلـى الإنسـانية كاملـة، وكان المنتمـون إليـه مـن قبائـل عديـدة كقريـش أو الخـزرج أو الأوس أو سُـليم أو غَفـار أو مـن بقيَّـة القبائـل، فـكل مسـلم مـن هـؤلاء دخل في تشـكيلة اجتماعية واحـدة، أطلقت عليهـم الصحيفة اسـم (المؤمنيـن)، فتجـاوزت فـي بُعدهـا الإنسـاني القبليَّـة والعصبيَّـة العرقيـة، والمناطقيـة..

وإلـى جانبهـم مجموعـة اجتماعيـة أخـرى وهـم اليهـود، ثـم مجموعـة ثالثـة أخـرى غيـر مسـلمة ممـن بقـي علـى وثنيته، تلـك كانت المجموعـات البشـرية الثـلاث رعايـا دولـة المدينـة النبويـة، فأسـمت الصحيفـة تلـك الكتلـة الجماعيـة بالأمـة، ونصـت علـى ذلـك؛ وأعطت الصحيفـة كل أفرادهـا حقـوق المواطنـة فـي هـذه الدولـة، أي الانتمـاء للأمـة، وليـس الانتمـاء القبلي الـذي كان يسـود الجزيرة العربيـة ومعظم البلـدان المحيطـة بهـا فـي تلـك الحقبـة التاريخيـة.

كمـا وضعت الوثيقـة الدسـتورية حقوقًـا وواجبـات للمواطنين في الدولـة دون النظـر إلـى الانتمـاء الدينـي والقبلـي، فجـاء فـي الصحيفـة: «المهاجـرون مـن قريـش (والأنصـار من بني عـوف وبني الحـارث وبني جشـم وبني عمـرو بن عوف وبنـي النبيت؛ أي كل قبيلة مـن تلك القبائل) علـى ربعتهـم تفـدي عانيهـم بالمعـروف والقسـط بيـن المؤمنيـن»؛ أي

يتعاونون في الحرب والسلام، بما يفرض على أي منهم من غرامات، سواء في القتل أو الأسر، ويتكافلون اجتماعيًّا بينهم، ويتعاونون في نشر العدل والأمر بالمعروف في أوساطهم.

وللدلالة على المواطنة للجميع ذكر النص المساواة لرعاياها كافة على مختلف انتماءاتهم الدينية والقبلية، وقد جاء ذلك في نص الصحيفة: «وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة، غير مظلومين ولا متناصرين عليهم»، ونوّهت الصحيفة عن مسئولية الدولة والمجتمع تجاه الرعايا اجتماعيًّا، بحيث لا يتركون من ثقلت عليه الديون وكثر أفراد أسرته دون مساندة ومساعدة، فيقول نص الصحيفة: «وإن المؤمنين لا يتركون مفرَحًا -محتاجا-، بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل».

وأشارت الصحيفة إلى المساواة بين أفراد الدولة في السلم والحرب، كما تجري هذه المساواة على الحليف في الحرب، وهذا في النص: «وإن سِلم المؤمنين واحدة، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله، إلا على سواء وعدل بينهم، وإن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضًا»..

كما شهد المجتمع المسلم نوعا آخر من التعددية في إطار الوطن الواحد، وهو التعددية المذهبية، حيث وجد على مر التاريخ مذاهب فقهية كالحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة، ومذاهب لغوية كالبصريين والكوفيين، والعنصر المشترك بين أصحاب المذاهب

جميعهـا كان هـو الاتفـاق علـى القطعـي والاختـلاف فـي الظنـي الـذي يقبـل التبايـن في وجهـات النظـر، وكان التعايش بين أصحـاب المذاهب هـو السـمة الظاهـرة الجلية فلم يكـن الاختلاف فـي الظني مبـررا عندهم للإنـكار، يقـول الزركشـي مبينـا منهـج العلمـاء فـي ذلـك: «الإنـكار من المنكـر إنمـا يكـون فيمـا أُجْتُمِعَ عليـه فأمـا المختلـف فيـه فـلا إنـكار فيـه؛ لأن كل مجتهـد مصيـب، أو المصيـب واحـد ولا نعلمـه، ولـم يزل الخـلاف بين السـلف فـي الفـروع ولا ينكـر أحد علـى غيره مجتهـدا فيه وإنمـا ينكـرون مـا خالف نصـا أو إجماعـا قطعيا أو قياسـا جليـا وهذا إذا كان الفاعـل لا يـرى تحريمـه فـإن كان يـراه فالأصح الإنـكار»[١].

وقـد كان للتعايـش بيـن أصحـاب المذاهـب الإسـلامية وأتبـاع الديانـات المختلفـة فـي إطـار التعدديـة الوسـطية أثـر كبيـر فـي النهضـة الحضاريـة والفكريـة والفقهيـة التـي ورثناهـا عن سـلفنا الصالـح، حيث نعـم الجميـع بالاسـتقرار والدعـة فصرفـوا قواهـم ومداركهـم للبنـاء والإبـداع، كمـا كان للوسـطية دور فـي تقويـم التعدديـة والحفـاظ علـى اعتدالهـا وبقائهـا كركـن مـن أركان السـلم الاجتماعـي.

بقي أن أقول:

الوطنيـة الشـاملة لكافة أطيـاف المجتمع وأصولـه وأعراقه، ومبادئه وأفكاره...

جـاء بالتأكيـد علـى أصولهـا رسـول اللـه محمـد صلـى اللـه عليـه وسـلم...

(١) المنثور في القواعد الفقهية للزركشي (٢/ ١٤٠).

وما تعزيزها في أوطاننا القُطْرِيَّةِ في هذه المرحلة والتأكيد عليها إلا واجب الوقت على العلماء والمثقفين..

شكر الله لعلماء الأمة ميثاقهم الشريف...

#وثيقة مكة المكرمة

وشكر الله للمملكة العربية السعودية احتضان هذا الميثاق ورعايته...

ننتظر تطبيقكم.. وتنفيذكم

ونهضتكم به ليكون #مشروع الأمة المسلمة في هذه المرحلة من العمر.....

لتسعد الإنسانية بالإسلام...

عقبولة:

❋ الأوطان منابت الفضيلة، ومأرز الوفاء، ومرتكز العادات، ومبنى العلاقات.

❋ من لا خير فيه لوطنه، لا خير فيه لأمته، ولا لدينه.

❋ الوطن قصة وفاء، وحكاية ولاء لا يعرفها السفهاء.

ضعف مناعة الهُوية

الناظـر فـي حاجـة الفـرد والمجتمع يجـد أن أهم مـا ينبغـي التركيز عليـه هو دعـم مفهوم الهُويـة، وأثره فـي الوحـدة والتوحد، وعنـد التأمل تجـد أن انخفـاض الإنتاجيـة الفكرية لدى المسـلمين؛ مظهـر ملفت، من مظاهـر ضعـف المناعـة الفكريـة، علـى عكـس مـا كان عليـه الأسـلاف فـي الماضـي؛ فقد شـجعت الشـريعة المطهـرة أبنائهـا على طلـب العلم والمعرفـة، وقـد سـاهمت الأسـفار والتبـادل التجـاري فـي اكتشـاف حضـارات جديـدة كالحضـارة الهنديـة والفارسـية واليونانيـة، والتعـرف علـى مجموعـة مـن العلـوم كالطـب والفلـك والرياضيـات، وظهـر بين المسـلمين علمـاء ومفكـرون نبغـوا فـي مختلـف مجـالات المعرفـة، وأضافـوا إلـى هـذه العلوم لمسـة إسـلامية عربية مميـزة، وقد بـرز خلال العصـور المنصرمـة مفكـرون وعلمـاء كبـار فـي جميـع التخصصـات الفكريـة والأدبيـة والعلميـة، وهـم من أصـول مختلفة جمعهم الإسـلام؛ فقـد برعـوا فـي عـدة مجـالات علميـة كالطـب والرياضيـات والفلـك، ناهيـك عـن اهتمامهـم بجميـع أصنـاف العلـوم الدينيـة كعلـوم القـرآن والحديـث والفقـه وغيـر ذلـك مـن العلـوم الدينية.

ومـا سـيادة الأفكار المضـادة للإسـلام، إلا من هـذا الضعف أيضا، ومـن ذلك:

محاولـة إحيـاء الحضـارات القديمـة، والدعـوة إلـى القوميـة أو الوطنيـة، وهـي دعـوة تعمـل علـى تجميـع النـاس تحـت شـأن جامـع مشـترك، من الجنـس أو اللغة أو المـكان أو المصالح، ومـا إذابة الفوارق بيـن حملة الرسـالة الصحيحـة، وبين أهـل التحريف والتبديـل والإلحاد، وصهـر الجميـع في إطـار واحد.... ونشـر الفوضـى الأخلاقيـة، وتهديم بنيـان الأسـرة باعتبارهـا النـواة الأولـى فـي البنيـة الاجتماعيـة؛ ومـا هذه المظاهـر إلا دلالـة علـى ضعـف المناعة الفكريـة لدى صاحـب الهوية..

كذلـك، التبعيـة الفكريـة للغالـب، وإن كان هـذا فيـه شـيء مـن الواقعيـة، إلا أن الإغـراق فيـه يحمل علـى، التبعية في الأفـكار والمناهج والنظـم الحياتيـة، وقـد برزت هـذه التأثـرات الفكرية، في بعـض الأفكار والأطروحـات الغريبـة عـن الإسـلام مـن قبـل بعـض المتأثريـن بالفكـر الغالـب، وهـو أحـد إفـرازات التبعية بسـبب التأثيـر الفكـري والثقافي...

عثرة في وجه النزاهة الفكرية

التحيز يا سادة هو عثرة معرفية، وخطأ منهجي، و ميلٌ لجهة على حساب جهة، وخطره أولاً وثانياً وثالثاً على نزاهة المعرفة وسلامتها من مفسدات الموضوعية، فإنها إن سلمت كانت شريفة تمثل العلم وتستتبعه بالعمل، بيد أنها إذا ابتليت بهذا الداء حرفت عن أصل وجودها، والحكمة منه، حتى يطش الفكر وتختلط الرؤى وتضيع الأقوال العلمية، وتتسامى فيه المبادئ تسامي الكيمياء، فلا تكاد تشم رائحة الاختلاف العلمي الناضج، فضلا عن آدابه، ومسالكه، حتى طغت العنتريات، على المعرفة بطيش أحمق، يسوقه المنفعة والمصالح، والتوازنات الذاتية والتيارات المتغلبة والأحزاب المتفحمة للصدارة والتصدر، والتيارات المنتقمة، والتيارات الغالبة، والمغلوبة، والأحزاب المؤولة، والأحزاب المبدلة، والأشخاص الواثقين بأنفسهم (حد الإشباع) بمصطلح أهل المطاعم، والضحية فقط هي المعرفة الحقة وطالبيها، وأصولها، ومناهج دراستها، وتعلمها وتعليمها.

وعند التأمل تجدت أن لهذا الداء مدارج درج فيها حتى نمى فأفسد من المعرفة نزاهتها، ومنازل هز أركانها:

١- منها التضييق على المخالف في مسائل الظن، وجعلها كمسائل القطع حتى يظهر الرأي المراد ويُجرّم الرأي الآخر ليتسيد

الرأي المختار ميدان الرأي العام، فيقبلونه على أنه الحق فقط... وما سواه هوى وباطل...

٢- ومنها المبالغة في التحوط والاحتياط حتى يفوت قصد الشارع إما فعلا أو تركا.

٣- ومنها صرف المحايد عن محايدته وموضوعيته؛ باستمالته إلى ما يراه صاحب القول وهو القطع في المسائلة الظنية.

٤- ومنها، الضرب بسوط الرأي العام، من أجل عدم التخليط عليهم والبلبلة وهذا منهاج مضروب، أصلا وفصلا، فالشرع؛ كتاباً وسنة هو المقدم أولا، والتنزيل يأتي لاحقاً..

٥- ومنها، حملات الاحتساب غير المبرر على المخالف في المسائل الظنية حتى يظنها الرأي العام من قطعيات المسائل، وهذا تدليس على العموم..

٦- ومنها، تعميم دائرة ذلك الاحتساب وتوسيعها، ليشمل بعد الظنيات، والعادات، والتقاليد، ونحو ذلك..

٧- ومنها، المقاطعة والبراءة والتحذير ثم التشنيع على المخالف في مسائل الظن، والتشغيب عليه حتى لا يُدرى أين الحق يكون... وحينها يتم تشويش التحيز على الرأي العام بشكل مقزز.. وتنتهك نزاهة المعرفة..

٨- ومنها، الجور في الخصومة وعدم الإنصاف... فضلا عن التحريض... وتوشيح الفكرة بوشاح يحبه الرأي العام، وتقبله أذواقهم...

٩-ومنهـا، تحريـض الـرأي العـام علـى المخالـف إمـا بازدرائه أو تنقصـه، أو التنبيـش فـي تراثه بمـا يخدم فكرة تهدم، وتبتسـر من السـياق، والسـباق، واللحـاق، فتكـون مسـخاً، ثـم تقـدم للـرأي العـام علـى أنهـا مبـرر مـن مبـررات الإقصاء..

١٠-ومنهـا أيضـاً، تأليـب أصحـاب القـرار، علـى ذلـك الـرأي، و عندهـا تسـتحكم المصـادرة للـرأي الاجتهـادي وتـزداد ثمـار التحيـز المريـرة، ويعـود حـارس آخـرة النـاس مأسـوراً بقـول قاطـع فـي مسـألة ظنيـة، حتـى يمـوت النـاس بالجمـود، وتصـادر الفهـوم الصحيحـة والموافقـة للشـريعة وقواعدهـا، ويُلبّـس الـرأي المتحيـز لبـاس الحـق، بعـد أن يخلـع لَبـوس فهـمِ النص في ضـوء فهـوم الصحابة الكـرام رضي اللـه عنهـم وأرضاهـم، وقد تعـددت أقاويلهم في المسـائل الظنيـة إلى ما يثبـت أن التحيـز آفـةٌ عصريـة، ومصيبـة نازلـة، ومفتـاح للطعن فـي نزاهة المعرفـة... إنهـا آفـةٌ تـدع الحليم حيرنـاً...

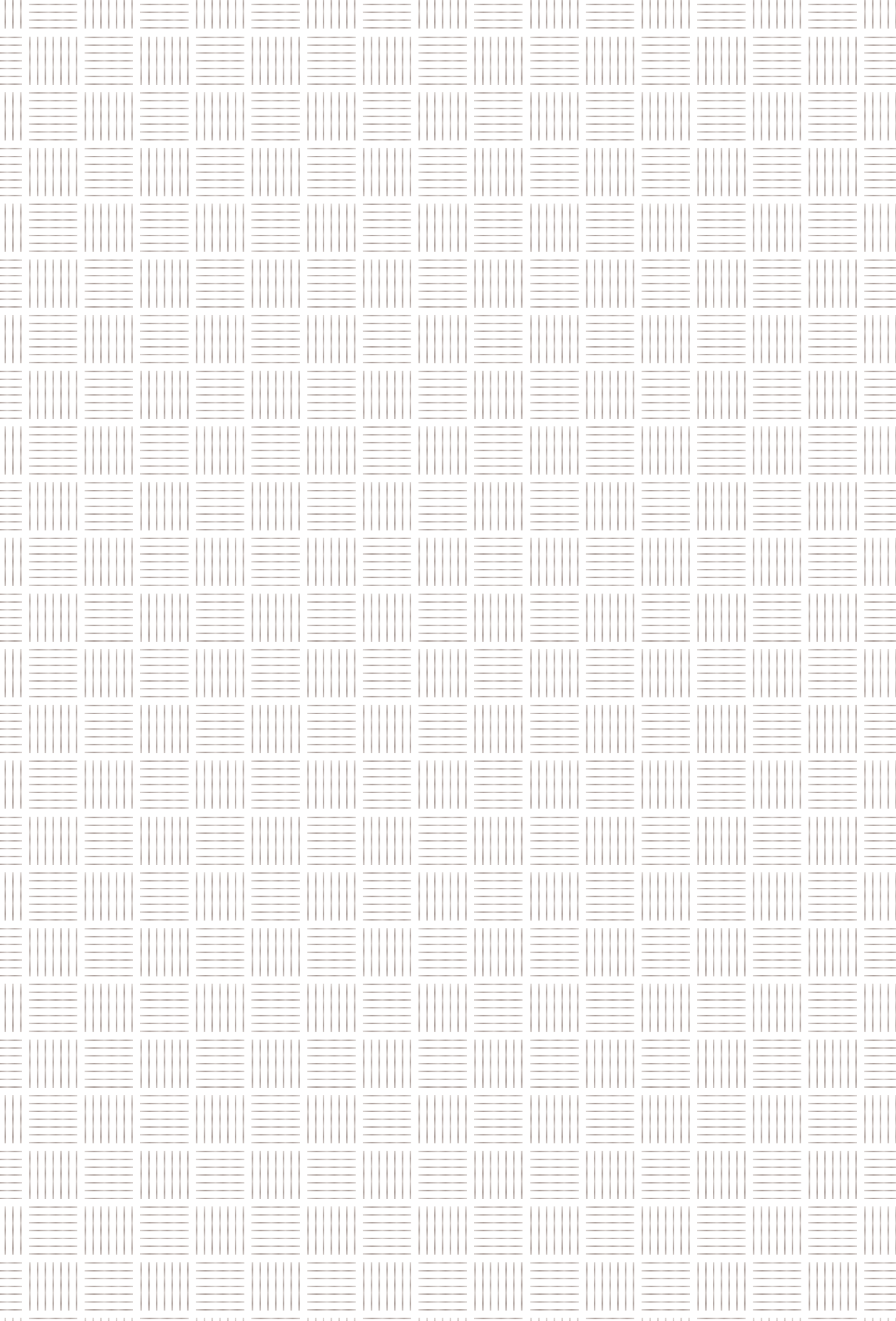
عقبولة:

❋ على سعة عقلك بالمعارف يتسع صدرك للإعذار.

❋ كلما زاد علمك زاد حلمك، وتسامحك وقَلَّ خِلافك.

❋ تحريـض النـاس غيـر المختصيـن علـى المخالـف دلالـة كُبرى علـى ذبـول الفكـرة، وضعفها.

❋ المختص بالشريعة يُعَدَّ حارسًا لآخرة الناس.



العيش في الزمن السهل

إن تحقيق معادلة العيش المشترك الآمن بين جميع المكونات الدينية والاثنية والثقافية في المجتمع المسلم قائم على قابلية الإسلام للتعامل مع عدة أعراق وأجناس وأديان ومما لاشك فيه؛ أن التنوع والتعدد الثقافي والديني والاجتماعي هو من خصائص المجتمعات الإنسانية، وما من مجتمع يكاد يكون متجانسا بالمطلق، فالتنوع والاختلاف والتعدد في أبعاده المختلفة موجود ومتأصل في كل أرجاء المعمورة، إن كان ذلك في العرق، أو الدين، أو المذهب أو الأصل إلى غير ذلك، وبناءً على ذلك فإنه ينبغي للمجتمعات أن تتقبل فكرة العيش المشترك الآمن بين كافة مكوناتها، وقد أشارت وثيقة المدينة التي كانت أول أساس حضاري، وأول قاعدة تشاركيه بين الرسول صلى الله عليه وسلم، وأهل المدينة من يهود ومشركين ونحوهم، فقد أكدت الصحيفة هذه الفكرة الهامة، وقد اعتبرت اليهود جزءًا من مواطني دولة الإسلام، وعنصرًا من عناصرها، فقد نصت على ما يلي:

«وأن من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة، غير مظلومين ولا متناصر عليهم»[1]، ثم ازداد هذا الحكم إيضاحاً في نص آخر، حيث

(١) هذا النص من وثيقة المدينة، وما بعده من نصوص؛ أخرجه ابن زنجويه في كتاب الأموال (٢/ ٤٦٦). وأورده ابن هشام في سيرته (١/ ٥٠١) عن ابن إسحاق.

يقول صلى الله عليه وسلم: «وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين»، وبهذا نرى الإسلام قد اعتبر أهل الكتاب الذين يعيشون في أرجائه مواطنين، وأنهم أمة مع المؤمنين، ما داموا قائمين بالواجبات المدنية المترتبة عليهم، فاختلاف الدين -ليس بمقتضى أحكام الصحيفة- سببا للحرمان من مبدأ المواطنة، والتساكن بل، والتواصل، والتآزر، والتعايش..

وقد أكدت وثيقة مكة المكرمة المعاصرة على ذلك ونصت على ضرورة تحقيق معادلة العيش المشترك الآمن بين جميع المكونات الدينية والثقافية، فقد جاء ما نصه:

«تحقيق معادلة العيش المشترك الآمن بين جميع المكونات الدينية والإثنية والثقافية على اتساع الدائرة الإنسانية، يستدعي تعاون القيادات العالمية والمؤسسات الدولية كافة، وعدم التفريق -عند مد يد العون السياسي أو الاقتصادي أو الإنساني- بين الناس على أساس ديني أو عرقي أو غيره»[(١)].

إن العيش المشترك بين أبناء المجتمع وبين الشعوب الإنسانية هو غاية نبيلة تسعى لها سائر الأديان والشرائع الدينية ويدعو لها العقلاء والحكماء في سائر العالم، وإنه لمن المهم أمام المشكلات والتحديات التي تعيشها البشرية في علاقات الناس بعضهم ببعض أن

(١) عن مؤتمر «وثيقة مكة المكرمة»، المنعقد خلال الفترة ٢٢- ٢٤ من شهر رمضان المبارك لعام ١٤٤٠هـ، الموافق ٢٧-٢٩ من شهر مايو لعام ٢٠١٩م، بمكة المكرمة حرسها الله وزادها تشريفًا.

يتـم التأكيـد علـى أهمية العيـش المشـترك ومقتضياته، وثمراتـه، وإن مما يتميـز به الإسـلام بوصفـه دين له أتبـاع كُثر هو الوسـطية فـي كل الأمور، قـال تعالـى: ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾، فالوسـطية الإسـلامية تميز فـي موقفها من الآخـر بيـن مـا هـو مرفوض وما هـو مقبـول ممـا لا يخالف الشـريعة ولا يعـود علـى أحكامهـا وقواعدهـا بالبطـلان، مـع الإبقـاء والحـرص على التعايـش فـي رحاب مسـاحات التلاقـي وفي إطـار المصالح المشـتركة، فالإسـلام رغـم عـدم إقـراره بعقائد أهـل الكتاب لـم ينبذهم، ولـم يقطع صلتـه بهـم، بـل أنكـر عقائدهـم ثـم فتـح لهـم المجتمعـات الإسـلامية وضمـن لهم حريـة العقيدة والعبادة ووفر لهم أسـباب الأمـن والطمأنينة، ورغـم اختلاف المسـلمين مـع الحضـارات الأخرى في جوانـب العقيدة والعبـادة إلا أنهـم لـم ينغلقـوا علـى أنفسـهم بل عَـرف تاريخهـم ترجمة علـوم الحضـارات الغربيـة التي قامـوا بغربلتهـا وتنقيحها فاسـتفادوا مما فيهـا مـن الحـق والخير، وطرحـوا مـا فيها مما سـواه...

والمطالـع لتاريـخ الإسـلام؛ يجـد نمـاذج متعـددة للتعايـش الاجتماعـي السـلمي بيـن ذوي العقائـد المختلفـة، ومـن ذلـك نمـوذج الحبشـة الذي عاش فيه المسـلمون فـي كنف دولة مسـيحية كان يحكمها النجاشـي، وتدلنـا عبـارة أم سـلمه -رضـي اللـه عنهـا- علـى مسـتوى التعايـش السـلمي في هـذه التجربة حيـث تقـول: «أقمنا عنـده بخير دار، مع خيـر جـار»[1].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٣٥٩)، برقم (١٧٤٠).

وقول النجاشي: «ما أحب أن لي دَبْرًا من ذهب، وأني آذيت رجلا منكم»[1].

إن العيش المشترك الذي يقوم على ثقافة السلم الاجتماعي يتطلب فهم الآخر، واحترامه، وتقدير دوره كجزء فاعل في الحياة بعامة وفي المجتمع بخاصة، وبناء ثقافة حوار مجتمعي من خلال الحوارات والمناقشات ذات الطابع الجماعي لخلق حالة من الفهم للآخر بدلاً من الإقصاء أو التهميش أو حتى العنصرية أحياناً....

بقي أن أقول... رسالتي إلى جميع المكونات في بلادي بلاد التوحيد والوحدة، تقبلوا بعضكم، تعايشاً وتعارفاً، وتواصلاً إنسانياً...

أفسحوا المجال للقلوب الطاهرة، والسواعد الفتية، لخدمة هذا الوطن المعطاء، سيراً على جادة صحيفة المدينة، واقتداء بعلماء الأمة الذين أجمعوا على وثيقة مكة ووقعوا...

وبهذا تتحقق معادلة العيش، وتكتمل خطوات الترقي...

ألف تحية وتحية..

لكل من حمل وردة حب، وعطف، ولطف، من أجل وحدة وطنية متلاحمة مع قيادة فَذّة...

جمعاً للكلمة وتوحيداً للصف، خلف ولاية سلمان الحزم ومحمد العزم...

---

(١) أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده (٤/ ٧٣)، والأصبهاني في دلائل النبوة (ص: ١٠٥)، والدبر بلسانهم الجبل.

والسلام يغشاكم والرحمة تحفكم والله يرعاكم...

وكتبه

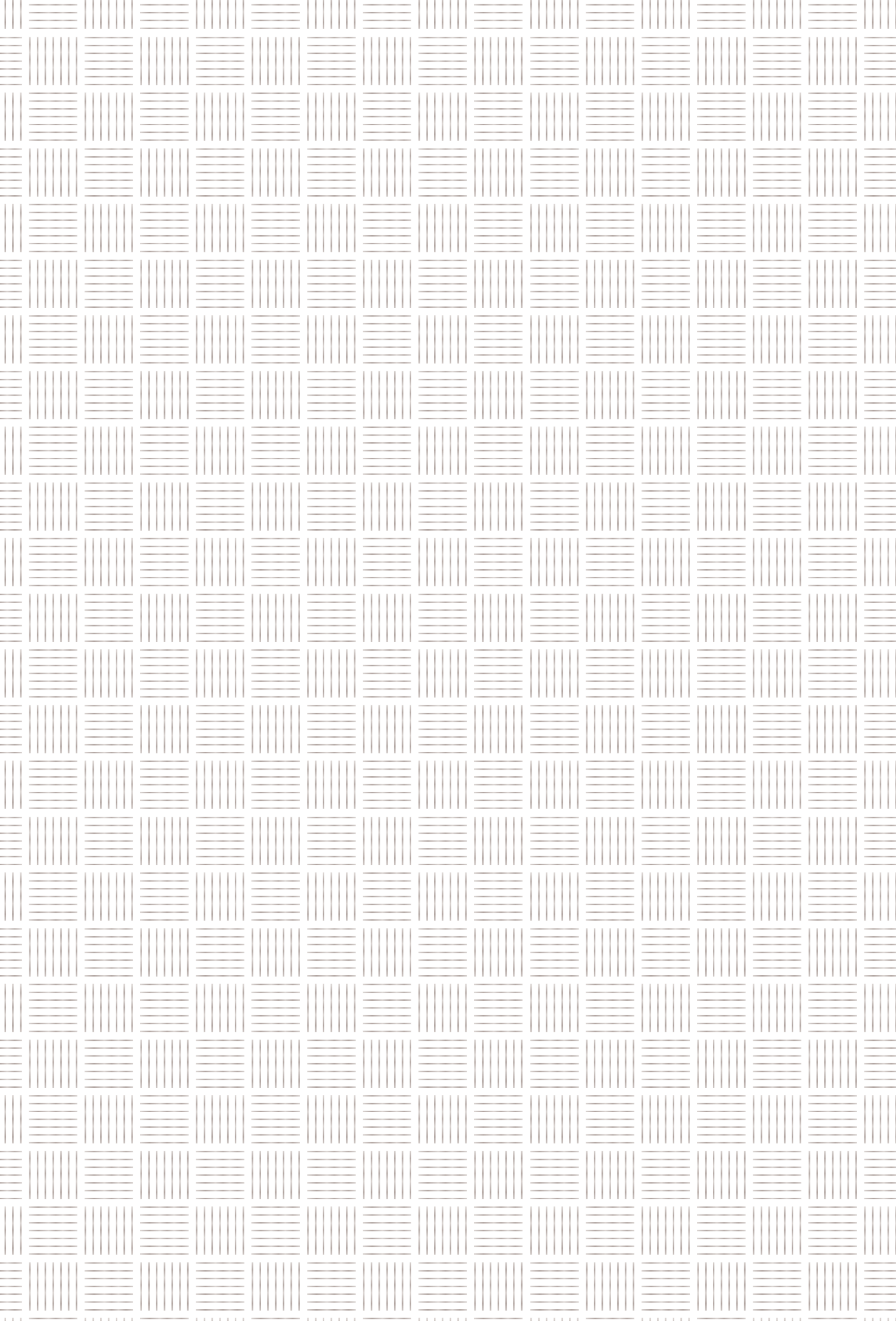
عقبولة:

❋ لن يقوم الإنسان وحده، بل بأخيه الإنسان يتم قوامه.

❋ وثيقـة المدينـة النبويـة لـم تعطـى حقهـا مـن البحث والدراسـة، وإلا هـي منجـم يزخر بمفاتيـح التعايش، والتسـاكن، والعيش المشـترك.

❋ وثيقـة مكـة المكرمـة التـي وقعهـا أكثر مـن ألف عالم مـن علماء العالـم الإسـلامي تحمـل بـذور الحيـاة المعاصـرة، بمفهـوم الإسـلام الشامل.

❋ غريـب ذلـك النشـاز الذي هـرب من حكمـة «لتعارفـوا» وفهمها «لتعاركوا».



من شروط الآمر بالمعروف والناهي عن النكر

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر

نبينا محمد بن عبد الله.. وعلى آله وصحبه ومن والاه... وبعد؛

فإن من شروط الآمر بالمعروف والناهي عن النكر:

١ - (العلم بما ينهى عنه): يقول النووي -رحمه الله-: «ثم إنه يأمر وينهى من كان عالما بما يأمر به وينهى عنه... إن كان من دقائق الأفعال والأقوال ومما يتعلق بالاجتهاد لم يكن للعوام مدخل فيه ولا لهم إنكاره بل ذلك للعلماء»[1].

٢- (الرفق بالمدعو والصبر عليه): يقول ابن تيمية -رحمه الله- : فلا بد من هذه الثلاثة: العلم؛ والرفق؛ والصبر؛ العلم قبل الأمر والنهي؛ والرفق معه والصبر بعده وإن كان كل من الثلاثة مستصحبا في هذه الأحوال؛ وهذا كما جاء في الأثر عن بعض السلف ورووه مرفوعا؛ ذكره القاضي أبو يعلى في المعتمد: «لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا من كان فقيها فيما يأمر به؛ فقيها فيما ينهى عنه؛ رفيقا فيما يأمر به؛ رفيقا فيما ينهى عنه؛ حليما فيما يأمر به حليما

(١) شرح النووي على مسلم (٢/ ٢٣).

فيمـا ينهى عنـه»[١].

٣- (عـدم التعـدي فـي النهـي لئـلا يخـرج عـن كونـه طاعـة): فالمتعـدي فـي النهـي مثله مثـل السـاكت عن النهـي من حيـث الوقع في الخطـأ، يقـول ابـن تيمية -رحمـه الله- فـي معرض بيانـه للناهيـن الذين يقعـون فـي الخطأ: «والفريـق الثاني: مـن يريـد أن يأمر وينهى إما بلسـانه وإمـا بيـده مطلقـا؛ من غيـر فقه وحلـم وصبر ونظـر فيما يصلـح من ذلك ومـا لا يصلـح وما يقـدر عليه وما لا يقـدر... فيأتي بالأمـر والنهي معتقدا أنـه مطيـع في ذلك لله ورسـوله وهـو معتد في حـدوده كمـا انتصب كثير مـن أهـل البـدع والأهـواء؛... وغيرهـم ممـن غلـط فيمـا أتـاه مـن الأمر والنهـي والجهـاد علـى ذلـك وكان فسـاده أعظم من صلاحـه»[٢].

٤- الحـرص علـى أن يكـون قـدوة للمنكر عليـه فيما ينكـره، فلابد أن (يحـرص المنكـر علـى أن يكـون أحسـن حـالا مـن المنكـر عليـه): يقـول ابـن تيميـة -رحمـه اللـه-: «وكثيـر مـن المنكريـن لبـدع العبادات والعـادات تجدهـم مقصريـن فـي فعـل السـنن مـن ذلـك، أو الأمـر بـه. ولعـل حـال كثيـر منهـم يكون أسـوأ مـن حال مـن يأتـي بتلـك العبادات المشـتملة علـى نوع مـن الكراهـة»[٣].

لكـن إذا لـم يسـتطع الناهـي أن يكـف نفسـه عن مـا ينهى عنـه، فلا يسـمك عـن ذلـك وليعلـم أن (النهي عمـا يعلـم تحريمه واجـب وإن لم

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/ ١٣٧).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٨/ ١٢٨).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (٢/ ١٢٦).

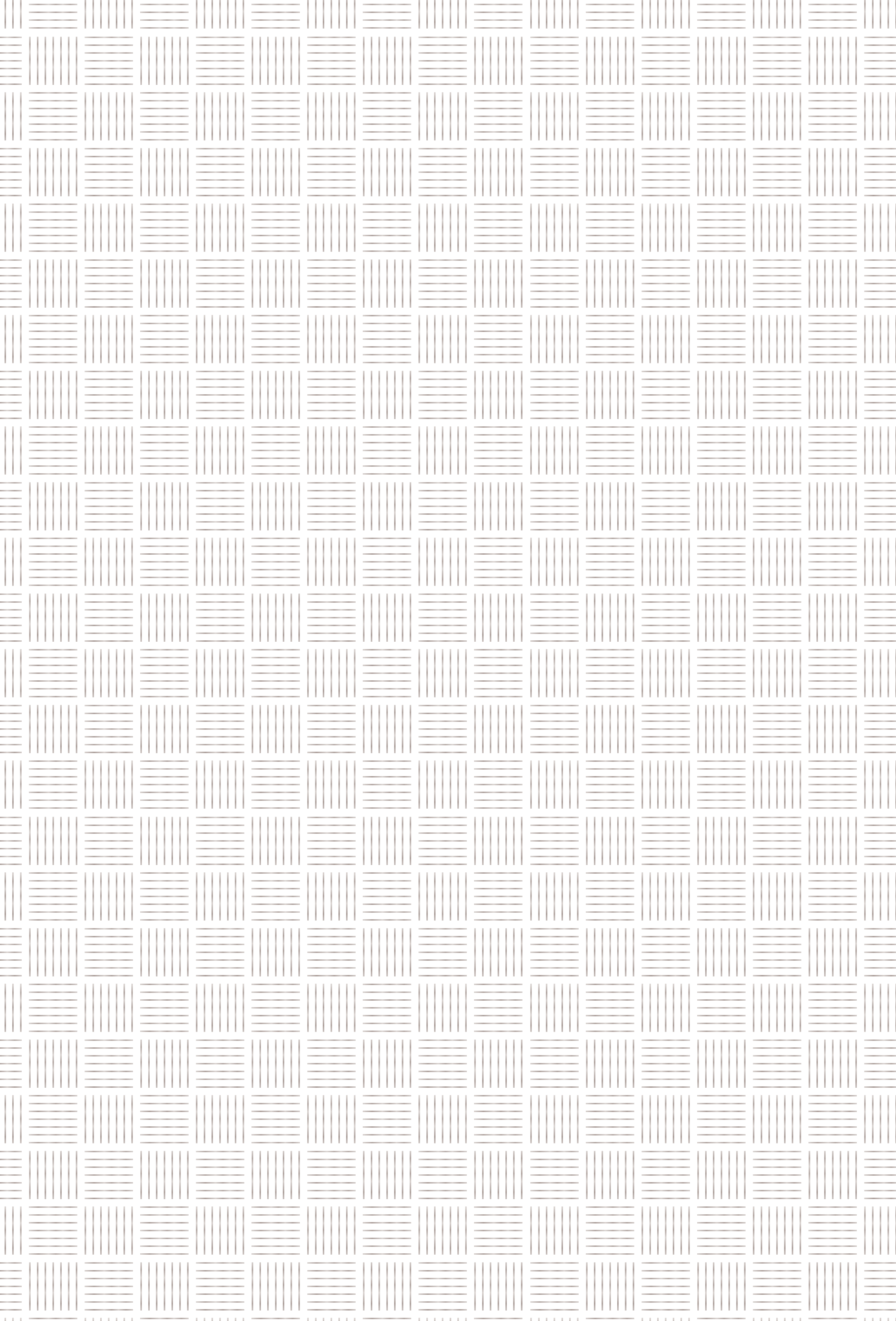
يكن بنفسه منهيا عنه)، يقول القرطبي -رحمه الله-: «قال حذاق أهل العلم: وليس من شرط الناهي أن يكون سليما عن معصية بل ينهى العصاة بعضهم بعضا. وقال بعض الأصوليين: فرض على الذين يتعاطون الكئوس أن ينهى بعضهم بعضا واستدلوا بهذه الآية، قالوا: لأن قوله: ﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ يقتضي اشتراكهم في الفعل وذمهم على ترك التناهي»[1].

عقبولة:

* الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر بلا منكر، هذا قوم الأمر والنهي.

---

(١) تفسير القرطبي (٦/ ٣٥٣، ٣٥٤).



قواعد في الإنكار

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر وعلى آله وصحبه أجمعين.. أما بعد؛

فإن كثيرا من الشباب وبدافع حب الدين يقعون في إنكار أمور على المخالفين هي عند العلماء المحققين لا يجوز الإنكار عليها.

وحتى نجتنب هذه المزالق ينبغي أن نعرف، ما ينكر فيه وما لا ينكر فيه، وضوابط ذلك، وفيما يلي بيان لهذه الجوانب بشيء من الإيجاز والاختصار هو مجموع كلام أهل العلم في ذلك:

أولا: بيان ما لا ينكر فيه، بين العلماء أنه (لا يجوز الإنكار في الخلاف المعتبر السائغ)، ويقصدون بذلك (عدم الإنكار في المختلف فيه من مسائل الاجتهاد)، وفي بيان ذلك أقوال متعددة لشيخ الإسلام -رحمه الله- منها قوله: «مسائل الاجتهاد لا يسوغ فيها الإنكار إلا ببيان الحجة وإيضاح المحجة: لا الإنكار المجرد المستند إلى محض التقليد؛ فإن هذا فعل أهل الجهل والأهواء»[1].

وقال -رحمه الله- في موضع آخر: «المسائل الاجتهادية لا تنكر باليد وليس لأحد أن يلزم الناس بإتباعه فيها؛ ولكن يتكلم فيها بالحجج العلمية فمن تبين له صحة أحد القولين تبعه ومن قلد

---

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (١/ ١٦٠).

أهل القول الآخر فلا إنكار عليه. ونظائر هذه المسائل كثيرة مثل: تنازع الناس في بيع الباقلا الأخضر في قشرته وفي بيع المقاثي جملة واحدة وبيع المعاطاة والسلم الحال واستعمال الماء الكثير بعد وقوع النجاسة فيه إذا لم تغيره والتوضؤ من مس الذكر والنساء وخروج النجاسات من غير السبيلين والقهقهة وترك الوضوء من ذلك والقراءة بالبسملة سرا أو جهرا وترك ذلك. وتنجيس بول ما يؤكل لحمه وروثه أو القول بطهارة ذلك وبيع الأعيان الغائبة بالصفة وترك ذلك. والتيمم بضربة أو ضربتين إلى الكوعين أو المرفقين والتيمم لكل صلاة أو لوقت كل صلاة أو الاكتفاء بتيمم واحد وقبول شهادة أهل الذمة بعضهم على بعض أو المنع من قبول شهادتهم»[(١)].

ويُنبه هنا إلى أن ابن تيمية رحمه الله له تفريق خاص بين مسائل الاختلاف ومسائل الاجتهاد، ورتب على هذا التفريق جواز (الإنكار في مسائل الخلاف، وعدم الإنكار في مسائل الاجتهاد)، والفارق بين النوعين من المسائل أن مسائل الاختلاف هي التي يكون أحد القولان فيها مؤيد بالنص في مقابل آخر ضعيف، أما مسائل الاجتهاد فهي التي لم يرد فيها دليل يجب العمل به، يقول ابن تيمية -رحمه الله: «مسائل الاجتهاد من عمل فيها بقول بعض العلماء لم ينكر عليه ولم يهجر ومن عمل بأحد القولين لم ينكر عليه وإذا كان في المسألة قولان: فإن كان الإنسان يظهر له رجحان أحد القولين عمل به وإلا

(١) مجموع الفتاوى (٣٠/ ٨٠).

قلد بعض العلماء الذين يعتمد عليهم في بيان أرجح القولين»[١].

ويُرتب على ما سبق أنه (لا ينكر مقلد على مقلد إلا بحجة ليس لها معارض قوي)، يقول ابن تيمية -رحمه الله- في بيان ذلك: «من صار إلى قول مقلدا لقائله لم يكن له أن ينكر على من صار إلى القول الآخر مقلدا لقائله؛ لكن إن كان مع أحدهما حجة شرعية وجب الانقياد للحجج الشرعية إذا ظهرت»[٢].

ويُرتب على ما سبق أيضا أنه (لا إنكار بين المختلفين حيث لا سنة ولا إجماع)، يقول ابن القيم -رحمه الله-: «وأما إذا لم يكن في المسألة سنة ولا إجماع، وللاجتهاد فيها مساغ، لم ينكر على من عمل بها مجتهدا أو مقلدا»[٣].

ولكن ينبغي التنبيه هنا على أمر مهم وهو أن (عدم جواز الإنكار لا يعني عدم جواز النصح)، عند أمن الفتنة، يقول العز ابن عبد السلام -رحمه الله-: «فمن أتى شيئا مختلفا في تحريمه معتقدا تحريمه وجب الإنكار عليه.. وإن اعتقد تحليله لم يجز الإنكار عليه، إلا ان يكون مأخذ المحلل ضعيفا،... وإن لم يعتقد تحريما ولا تحليلا أرشد إلى اجتنابه من غير توبيخ ولا إنكار»[٤].

ثانيا: ضوابط الإنكار، هناك مجموعة من الضوابط ينبغي على

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٠/ ٢٠٧).

(٢) مجموع الفتاوى (٣٥/ ٢٣٣).

(٣) المستدرك على مجموع الفتاوى (٣/ ٢٠٦).

(٤) قواعد الأحكام في مصالح الأنام (١/ ١٢٩).

المخالـف أن يأخـذ بهـا نفسـه قبل الإنـكار علـى مخالفه، ومـن أهم هذه الضوابـط مـا يأتي:

١- ينبغـي (تجنـب الأنكـر): فـ (أحيانـا ينبغي ترك الأمـر والنهي)، وذلـك عندمـا يكـون الإنـكار علـى المخالـف سـوف يـؤد إلـى ضيـاع مصلحـة قائمـة أو إيجاد مفسـدة منعدمـة، يقول ابـن تيمية -رحمـه الله- فـي معـرض حديثـه عـن اجتمـاع معـروف ومنكـر غيـر متلازميـن عنـد طائفـة: «فـي الفاعـل الواحـد والطائفـة الواحـدة يؤمـر بمعروفهـا وينهى عـن منكرهـا ويحمد محمودهـا ويذم مذمومهـا؛ بحيـث لا يتضمن الأمر بمعـروف فـوات أكثـر منـه أو حصـول منكـر فوقـه ولا يتضمـن النهـي عـن المنكـر حصـول أنكر منـه أو فـوات معروف أرجـح منه. وإذا اشـتبه الأمـر اسـتبان المؤمـن حتى يتبيـن له الحـق»[١]. وهـذه الصـورة تخالف مـا لـو كان المعـروف والمنكـر متلازمين عنـد طائفـة أو فرد، فابـن تيمية -رحمـه اللـه- قال فـي ذلك: «وتـارة لا يصلح لا أمر ولا نهـي حيث كان المعـروف والمنكـر متلازمين»[٢].

وموضـوع تجنـب الأنكر يوجـب على المنكـر أن يعلم بدقـة طبيعة الحالـة أو المواقـف التي سـوف ينكـر فيهـا، لأن (المنكر حيـث لا ينبغي الإنـكار مرتكـب لنـوع مـن الظلـم والجهـل)، أما الظلـم فلأنه نهـى عما لا يطلـب فيـه الإنـكار، وأمـا الجهـل فلأنه بنـي إنـكاره على غيـر معرفة، يقـول ابـن تيميـة -رحمـه اللـه-: «إذا كان الكفـر والفسـوق والعصيـان

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/ ١٣٠).
(٢) مجموع الفتاوى (٢٨/ ١٣٠).

سبب الشر والعدوان فقد يذنب الرجل أو الطائفة ويسكت آخرون عن الأمر والنهي فيكون ذلك من ذنوبهم وينكر عليهم آخرون إنكارا منهيا عنه فيكون ذلك من ذنوبهم؛ فيحصل التفرق والاختلاف والشر وهذا من أعظم الفتن والشرور قديما وحديثا؛ إذ الإنسان ظلوم جهول والظلم والجهل أنواع فيكون ظلم الأول وجهله من نوع وظلم كل من الثاني والثالث وجهلهما من نوع آخر وآخر»(١).

ومن الصور التي يقع فيه الإنكار على الوجه الممنوع، الإنكار على التفاضل بين السنن والمستحبات، بالرغم من أنه (لا يجب الأمر بالفاضل ولا النهي عن المفضول). ومن يحرص على السلامة في هذه الأمور فعليه أن يمسك عن الإنكار أو ينصح بالحسنى ففي هاذين الموقفين (يكون المنكر مصيبا).

ومن تطبيقات (تجنب الأنكر) النهي عن الخروج على الحاكم المرتكب للذنوب، يقول ابن تيمية -رحمه الله-: «إذا كان من المحرمات ما لو نهى عنه حصل ما هو أشد تحريما منه لم ينه عنه ولم يبحه أيضا. ولهذا لا يجوز إنكار المنكر بما هو أنكر منه؛ ولهذا حرم الخروج على ولاة الأمر بالسيف؛ لأجل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن ما يحصل بذلك من فعل المحرمات وترك واجب أعظم مما يحصل بفعلهم المنكر والذنوب وإذا كان قوم على بدعة أو فجور ولو نهوا عن ذلك وقع بسبب ذلك شر أعظم مما هم عليه

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/ ١٤٢).

مـن ذلـك ولـم يمكـن منعهم منـه ولم يحصـل بالنهي مصلحـة راجحة لم ينهوا عنـه»[١].

٢- مراعـاة (فقـه المصالـح فـي الإنـكار): ففـي الإنكار يكـون درء المفسـدة مقـدم علـى جلـب المصلحـة، فينكر حيـث تقتضـي المصلحة الإنـكار ويتـرك الإنـكار حيث يخشـى منه المفسـدة أو ضيـاع المصلحة، يقـول ابـن تيميـة -رحمـه اللـه-: «حيـث كانـت مفسـدة الأمـر والنهـي أعظـم مـن مصلحتـه لـم يكـن ممـا أمـر اللـه بـه وإن كان قد تـرك واجب وفعـل محـرم إذ لمؤمـن عليـه أن يتقـى اللـه فـي عبـاد اللـه وليـس عليـه هداهـم»[٢]، وفـي موضع آخـر يقـول: «وإذا كان قوم على بدعـة أو فجور ولـو نهـوا عـن ذلك وقع بسـبب ذلك شـر أعظـم مما هـم عليه مـن ذلك ولـم يمكـن منعهـم منـه ولـم يحصـل بالنهـي مصلحـة راجحة لـم ينهوا عنه»[٣].

ومـا أروع مـا سـاقه ابن تيميـة -رحمه اللـه- لبيان أن درء المفاسـد مقـدم علـى جلـب المصالـح وأن (نـور معـه ظلمـة خيـر مـن تـرك النور بالكليـة)، حيـث قال: «قـد يتعذر أو يتعسـر على السـالك سـلوك الطريق المشـروعة المحضـة إلا بنـوع مـن المحـدث لعـدم القائـم بالطريـق المشـروعة علمـا وعمـلا. فـإذا لـم يحصل النـور الصافـي بأن لـم يوجد إلا النـور الـذي ليس بصـاف. وإلا بقي الإنسـان في الظلمة فـلا ينبغي أن

(١) مجموع الفتاوى (١٤/ ٤٧٢).
(٢) مجموع الفتاوى (٢٨/ ١٢٦).
(٣) مجموع الفتاوى (١٤/ ٤٧٢).

يعيب الرجل وينهى عن نور فيه ظلمة. إلا إذا حصل نور لا ظلمة فيه وإلا فكم ممن عدل عن ذلك يخرج عن النور بالكلية إذا خرج غيره عن ذلك؛ لما رآه في طرق الناس من الظلمة»[١].

وهذا الذي ساقه ابن تيمية -رحمه الله-يفيد أنه (لا يهجر المبتدع إذا فوت هجره بعض المصالح)، وأوقع خلاف المقصود، «فالهجران قد يكون مقصوده ترك سيئة البدعة التي هي ظلم وذنب وإثم وفساد وقد يكون مقصوده فعل حسنة الجهاد والنهي عن المنكر وعقوبة الظالمين لينزجروا ويرتدعوا. وليقوى الإيمان والعمل الصالح عند أهله. فإن عقوبة الظالم تمنع النفوس عن ظلمه وتحضها على فعل ضد ظلمه: من الإيمان والسنة ونحو ذلك. فإذا لم يكن في هجرانه انزجار أحد ولا انتهاء أحد؛ بل بطلان كثير من الحسنات المأمور بها لم تكن هجرة مأمورا بها»[٢].

ومن المصالح التي يمكن أن تفوت بالإنكار في غير موضعه: مصلحة الحياة، فقد يفقد الإنسان حياة بذلك، ولذا كان (ترك النهي إذا خشي الإنسان الأذى على نفسه أو المسلمين) من الأمور الواجبة، يقول ابن رجب -رحمه الله-: «إن خشي في الإقدام على الإنكار على الملوك أن يؤذى أهله أو جيرانه، لم ينبغ له التعرض لهم حينئذ، لما فيه من تعدي الأذى إلى غيره، كذلك قال الفضيل بن عياض

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٣٦٤).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٢١٢).

وغيره»[١]. ويقول ابن تيمية رحمه الله: «فإذا قوي أهل الفجور حتى لا يبقى لهم إصغاء إلى البر؛ بل يؤذون الناهي لغلبة الشح والهوى والعجب سقط التغيير باللسان في هذه الحال وبقي بالقلب»[٢].

٣- (مراعاة حال المنكر عليه)، فـ(لا ينكر على من كان حديث التوبة والإسلام إلا بعد تمكنه من العلم والعمل)، يقول ابن تيمية -رحمه الله-: «وكذلك التائب من الذنوب؛ والمتعلم والمسترشد لا يمكن في أول الأمر أن يؤمر بجميع الدين ويذكر له جميع العلم فإنه لا يطيق ذلك وإذا لم يطقه لم يكن واجبا عليه في هذه الحال وإذا لم يكن واجبا لم يكن للعالم والأمير أن يوجبه جميعه ابتداء بل يعفو عن الأمر والنهي بما لا يمكن علمه وعمله إلى وقت الإمكان كما عفا الرسول عما عفا عنه إلى وقت بيانه ولا يكون ذلك من باب إقرار المحرمات وترك الأمر بالواجبات لأن الوجوب والتحريم مشروط بإمكان العلم والعمل وقد فرضنا انتفاء هذا الشرط. فتدبر هذا الأصل فإنه نافع... فإن العجز مسقط للأمر والنهي وإن كان واجبا في الأصل»[٣].

وكذلك (لا ينكر حيث لا يجدي مع المنكر عليه الإنكار إلا عند مظنة القبول)، يقول ابن تيمية -رحمه الله-: «إذا كان المأمور والمنهي لا يتقيد بالممكن: إما لجهله وإما لظلمه ولا يمكن إزالة جهله وظلمه

---

(١) جامع العلوم والحكم (٢/ ٢٤٩).
(٢) مجموع الفتاوى (١٤/ ٤٨٠).
(٣) مجموع الفتاوى (٢٠/ ٦٠).

فربما كان الأصلح الكف والإمساك عن أمره ونهيه كما قيل: إن من المسائل مسائل جوابها السكوت كما سكت الشارع في أول الأمر عن الأمر بأشياء والنهي عن أشياء حتى علا الإسلام وظهر»[١]. ويقول العز بن عبد السلام رحمه الله: «فإن علم الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن أمره ونهيه لا يجديان ولا يفيدان شيئا، أو غلب على ظنه، سقط الوجوب لأنه وسيلة ويبقى الاستحباب، والوسائل تسقط بسقوط المقاصد، وقد كان - صلى الله عليه وسلم - يدخل إلى المسجد الحرام وفيه الأنصاب والأوثان ولم يكن ينكر ذلك كلما رآه. وكذلك لم يكن كلما رأى المشركين ينكر عليهم، وكذلك كان السلف لا ينكرون على الفسقة والظلمة فسوقهم وظلمهم وفجورهم، كلما رأوهم، مع علمهم أنه لا يجدي إنكارهم.

وقد يكون من الفسقة من إذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فيزداد فسوقا إلى فسوقه، وفجورا إلى فجوره»[٢].

وأخيرا يجب أن يراعي المنكر ما يؤول إليه حال المنكر عليه، فـ (لا إنكار إلا إذا كانت النقلة إلى مباح أو منكر أخف)، يقول ابن القيم -رحمه الله-: «فإذا رأيت أهل الفجور والفسوق يلعبون بالشطرنج كان إنكارك عليهم من عدم الفقه والبصيرة إلا إذا نقلتهم منه إلى ما هو أحب إلى الله ورسوله كرمي النشاب وسباق الخيل ونحو ذلك، وإذا رأيت الفساق قد اجتمعوا على لهو ولعب أو سماع مكاء وتصديه

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٠/ ٥٩).

(٢) قواعد الأحكام في مصالح الأنام (١/ ١٢٨).

فإن نقلتهم عنه إلى طاعة الله فهو المراد، وإلا كان تركهم على ذلك خيرا من أن تفرغهم لما هو أعظم من ذلك فكان ما هم فيه شاغلا لهم عن ذلك، وكما إذا كان الرجل مشتغلا بكتب المجون ونحوها وخفت من نقله عنها انتقاله إلى كتب البدع والضلال والسحر فدعه وكتبه الأولى، وهذا باب واسع»(١)... هذا محصل ما وقفت عليه من كلام أهل العلم وفق الله الجميع لصلاح النية والعمل وصلى الله وسلم على نبينا محمد بن عبد الله وآله وصحبه ومن والاه..

عقبولة:

* الإنكار للإصلاح، لا للإفساد، أو الإتيان بما هو أنكر.
* أدعياء الإنكار كُثُرْ، يميزهم المنهج الذي يسيرون عليه.

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين (٣/ ١٢).

آداب الباحث عن الحق

الحمـد للـه وحـده والصـلاة والسـلام علـى من لا نبـي بعـده.. أما بعد ؛

فـإن لطالـب الحـق والباحث عنـه المنقب فـي الزوايـا والخبايا عنه لـه آدابـا ومنهجـا، أجمل فيمـا يلي مختصـر كلام أهـل العلم فـي أهمها، ومـن أهمها مـا يأتي:

أولا: قبـول قـول المخالـف إذا كان الحـق في جانبـه: فمـن أهـم آداب طـلاب العلـم: (الإنصـاف بالإقـرار بصـواب المخالـف).

وذلـك باعتمـاد قولـه بغـض النظـر عـن شـخصه أو فكره فـي غير المسـالة محـل النظـر، (فـلا يـرد الحـق لمجـرد أن قائلـه مبطـل، فالعبرة بالقـول لا بالقائل)، يقول ابن حجر العسـقلاني –رحمـه الله–: «الحكمة قـد يتلقاهـا الفاجـر فـلا ينتفع بهـا وتؤخذ عنـه فينتفـع بها وأن الشـخص قـد يعلـم الشـيء ولا يعمل بـه وأن الكافر قـد يصدق ببعض مـا يصدق به المؤمـن ولا يكـون بذلـك مؤمنـا وبأن الكـذاب قد يصـدق»[١].

ولنـا فـي منهج الشـيخ الشـنقيطي –رحمه اللـه– تطبيقـا عمليا لهذا المنهـج، حيـث يقـول في بيـان منهجه فـي التفسـير: «ونرجح مـا ظهر لنا أنـه الراجـح بالدليـل، مـن غيـر تعصـب لمذهـب معيـن ولا لقـول قائل،

---

(١) فتح الباري (٤/ ٤٨٩).

معيـن لأننـا ننظـر إلـى ذات القول لا إلـى قائلـه، لأن كل كلام فيـه مقبول ومـردود إلاّ كلامـه صلـى الله عليه وسـلم ومعلوم أن الحق حـق ولو كان قائلـه حقيـرًا، ألا تـرى أن ملكة سـبأ فـي حال كونها تسـجد للشـمس من دون اللـه هـي وقومهـا لمـا قالـت كلاما حقـا صدقها اللـه فيـه، ولـم يكن كفرهـا مانعـا مـن تصديقها في الحـق الذي قالتـه»[1].

ومـن الفضـل فـي هـذا البـاب أن نلتـزم ذلـك ولـو سـاء خلـق المخالـف، فمـن قواعـد الإنصـاف أنـه (لا ينكر صـواب المخالـف ولو سـاء طبعـه).

ولا يقتصـر الأمـر فـي الإنصـاف على قبـول قـول المخالـف عنـد ثبـوت صدقـه، بـل علـى طالـب العلـم أن يلتـزم العـدل فـي المراتـب الأقـل، وذلـك (بالإقـرار بقرب المخالف مـن الحق أو البعـد عنه)، يقول ابـن سـعدي –رحمه اللـه–: «إذا تكلـم العالم علـى مقالات أهـل البدع، فالواجـب عليـه أن يعطـي كل ذي حـق حقـه، وأن يبيـن ما فيهـا من الحق والباطـل، ويعتبـر قربهـا من الحـق وبعدها منـه»[2].

وليعلـم طالـب الحـق أن (الإقـرار بفضـل المخالـف لا ينقص قدر المقـر بـه)، وليكـن له في قـول محمد ابـن الحسـن –رحمه اللـه– مثالا، فعـن عبـد اللـه بن عبـد الحكـم، قـال: سـمعت الشـافعي يقول: قـال لي محمـد بـن الحسـن: أيهمـا أعلـم صاحبنـا أم صاحبكـم؟ يعني أبـا حنيفة ومالـك بـن أنس – قلـت: على الإنصاف؟ قـال: نعم. قلت: فأنشـدك الله

(١) أضواء البيان، مقدمة التفسير (١/ ٦٨).
(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٨٠).

مـن أعلم بالقـرآن - صاحبنا أو صاحبكم؟ قال: صاحبكـم - يعنى مالكا. قلـت فمن أعلـم بالسُّـنة - صاحبنا أو صاحبكـم؟ قال: اللهـم صاحبكم، قلـت: فأنشـدك اللـه مـن أعلـم بأقاويل أصحـاب رسـول الله صلـى الله عليـه وسـلم والمتقدميـن - صاحبنـا أو صاحبكـم؟ قـال: صاحبكم، قال الشـافعي: فقلـت: لـم يبـق إلا القيـاس، والقيـاس لا يكـون إلا على هذه الأشـياء فمـن لم يعـرف الأصول فعلى أي شـيء يقيـس؟!»[1].

وانتهـاج هـذا المنهـج اللطيف الشـريف ربمـا يحمـل المخالف إذا أخطـأ مـن وجـه دون وجه أن يعود إلـى الحق، لأن (بيان فضـل المخالف يخفـف مـن وطـأة تخطئته)، وقـد كان مـن فضـل الذهبي -رحمـه الله- فـي هـذا البـاب أنـه ترجـم لأحـد الوضاعيـن فقـال فيـه: «وهـو أحـد الوضاعيـن الكذابيـن، مـع كونـه كان محدثـا، إماما فـي السـنة والرد على المبتدعة»[2].

فالتـزام مـا سـبق بيانـه مفتـاح لعـلاج مـا (يغلـب علـى الأتبـاع من غمـط مخالفيهـم)؛ فحالهـم كمـا يقـول ابـن عبـد البـر: «وكلهـم يتجاوز الحـد فـي الذم، وعنـد كل واحد مـن الطائفتين خيـر كثير وعلـم كبير»[3].

ثانيـا: (قبـول الحـق مـن أي كان): فمـن العـدل عنـد طلـب الحق: (قبـول الحـق مـن الحبيـب والبغيـض)، يقـول ابن القيـم -رحمـه الله-: «فعلـى المسـلم أن يتبـع هـدي النبي - صلى اللـه عليه وسـلم - في قبول

---

(١) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (١/ ٤)، وفيات الأعيان (٤/ ١٣٦)، سير أعلام النبلاء (٨/ ١١٢).

(٢) العبر في خبر من غبر (٢/ ١٩).

(٣) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١١٣٨).

الحق ممن جاء به من ولي وعدو وحبيب وبغيض وبر وفاجر، ويرد الباطل على من قاله كائنا من كان»[١].

وكذلك: (قبول الحق حتى من غير المسلم)، يقول ابن تيمية -رحمه الله-: «فلا يجوز لنا إذا قال يهودي أو نصراني -رافضي- قولا فيه حق أن نتركه أو نرده كله، بل لا نرد إلا ما فيه من الباطل دون ما فيه من الحق»[٢].

وكذلك: (قبول الحق ولو من المنافق، ورد الباطل ولو من الحكيم): وفي هذا يقول معاذ ابن جبل -رضي الله عنه-: «اجتنب من كلام الحكيم المشتهرات التي يقال لها ما هذه، ولا يثنينك ذلك عنه، فإنه لعله أن يراجع، وتلق الحق إذا سمعته فإن على الحق نورا»[٣].

وهذا الذي أوردناه يتطلب من الباحث عن الحق الطالب له دربة طويلة على لزوم العدل، والإنصاف، والتحري حتى تحصل له ملكة تجريد الأقوال عن الأشخاص فلا يمتدح من يحبه بعمل شنع به على من يبغضه، وهذا مما يشنع منه لأن (قبول الحق يقتضي عدم الكيل بمكيالين).

ثالثا: ومن آداب طالب الحق: تمني وصول المخالف إليه: فعلى طالب الحق (إنصاف المخالف حتى لو كان بتمني وصوله للصواب)،

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/ ٨٢).

(٢) منهاج السنة النبوية (٢/ ٣٤٢).

(٣) سنن أبي داود (٤/ ٢٠٢).

وهـذا مـن الآداب التـي يجـب عليـه تحصيلهـا فيكـون فـي طلـب الحق كناشـد ضالـة لا يفـرق بيـن أن تظهـر الضالـة علـى يـده أو علـى يـد مـن يعاونـه، ويـرى رفيقـه معينـا لا خصمـا ويشـكره إذا عرفـه الخطـأ وأظهر لـه الحق.

وليعلـم طالـب الحـق أن (تمنـي الصـواب للمخالف مـن علامات التعقـل والإخـلاص والصـدق)، ومـن ثـم فـلا يليق بـه (لا الفـرح بالذلة ولا التصيـد للأخطـاء)، وإنمـا الـذي يليـق بـه هـو التـزام مـا نصـح بـه الشـيخُ بكـر أبـو زيـد حيث قـال: «التـزم الإنصـاف الأدبي بـأن لا تجحد مـا للإنسـان مـن فضـل، وإذا أذنب فـلا تفـرح بذنبـه... وأمـا البحث عن هفواتـه وتصيدهـا؛ فذنـوب مضافة»، وليكـف الباحث عن الحـق في هذا البـاب الاقتـداء بمـا كان من (مسـارعة السـلف لإتبـاع الحق ولـو نطق به الخصـم)، قـال العـز بن عبـد السـلام -رحمه اللـه- متعجبا مـن تعصب أهـل زمانـه: «وأيـن هذا مـن مناظـرة السـلف ومشـاورتهم فـي الأحكام ومسـارعتهم إلـى إتبـاع الحـق إذا ظهر على لسـان الخصم، وقـد نقل عن الشـافعي -رحمـه اللـه- أنه قـال: ما ناظـرت أحـدا إلا قلـت: اللهم أجر الحـق على قلبه ولسـانه، فـإن كان الحق معـي اتبعنـي وإن كان الحق معه اتبعه»[١].

رابعـا: مـن آداب الحـث عـن الحـق: (قابليـة الرجـوع إلـى الحـق إذا ظهـر علـى يـد المخالف)، فــ(اسـتعداد الرجـوع إلى الصـواب دليل

(١) تصنيف الناس (ص: ٧٧، ٨٧).

الإخلاص للحق)، وقد ضُرب بأصحاب أبي حنيفة المثل في الرجوع عن الحق؛ حتى إن أبا يوسف -رحمه الله- لما أرشده الإمام مالك -رحمه الله- إلى وجه الحق في مسألة رجع عن رأيه وقال: «لو رأى صاحبي -يعني أبا حنيفة- مثل ما رأيت لرجع مثل ما رجعت»[١]، مما يدل على أن الرجوع للحق من أشرف أخلاق العلماء.

فليكن شعار طلاب الحق: (إذا اتضح الحق رجعنا وإن خفي لم ننازع المخالف)، يقول ابن تيمية -رحمه الله- في هذا المعنى: «الحق الذي بعث الله به رسوله لا يغطى بل يظهر فإن ظهر رجع الجميع إليه وإن لم يظهر سكت هذا عن هذا وسكت هذا عن هذا؛ كالمسائل التي تقع يتنازع فيها أهل المذاهب لا يقول أحد إنه يجب على صاحب مذهب أن يتبع مذهب غيره لكونه حاكما فإن هذا ينقلب فقد يصير الآخر حاكما»[٢].

وليعلم طلاب العلم أنه (لا حرج على المعذور)، فالمجتهد إذا اجتهد في مسألة ثم تبين الحق في خلافها «لم يكن لأحد أن يذمه ولا يعيبه ولا يعاقبه ولكن إذا عرف الحق بخلاف قوله لم يجز ترك الحق الذي بعث الله به رسوله لقول أحد من الخلق وذلك هو الشرع المنزل من عند الله وهو الكتاب والسنة وهو دين الله ورسوله لتكون كلمة الله هي العليا ويكون الدين كله لله لا يجاهدون على قول عالم

---

(١) البداية والنهاية (١٠/ ١٩٤).

(٢) مجموع الفتاوى (٣٥/ ٣٧٩).

ولا شيخ ولا متأول»[١].

وليتذكر طالب الحق أنه (لا عذر لمن عرف الحق في أن يدعه)، وقد (كان الصحابة يرجعون إلى الصواب)، فقد احتج ابن عباس على علي رضي الله عن الجميع فيما رآه من حرق المرتدين بعد قتلهم، بحديث: «من بدل دينه فاقتلوه»[٢] فبلغ علي ذلك فأعجبه.، ورحم الله الإمام المجدد: محمد بن عبد الوهاب التميمي الذي جعل من «الرجوع إلى الحق خير من التمادي للباطل»[٣] شعارا له.. هذه مجمل آداب في قبول الحق والرجوع إليه والبحث عنه، كتبتها لنفسي ولمن طلبها مني في غير ما مجلس.. وفق الله الجميع لصلاح النية والعمل وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما مزيدا..

عقبولة:

❊ البحث عن الحق عبادة العلماء.

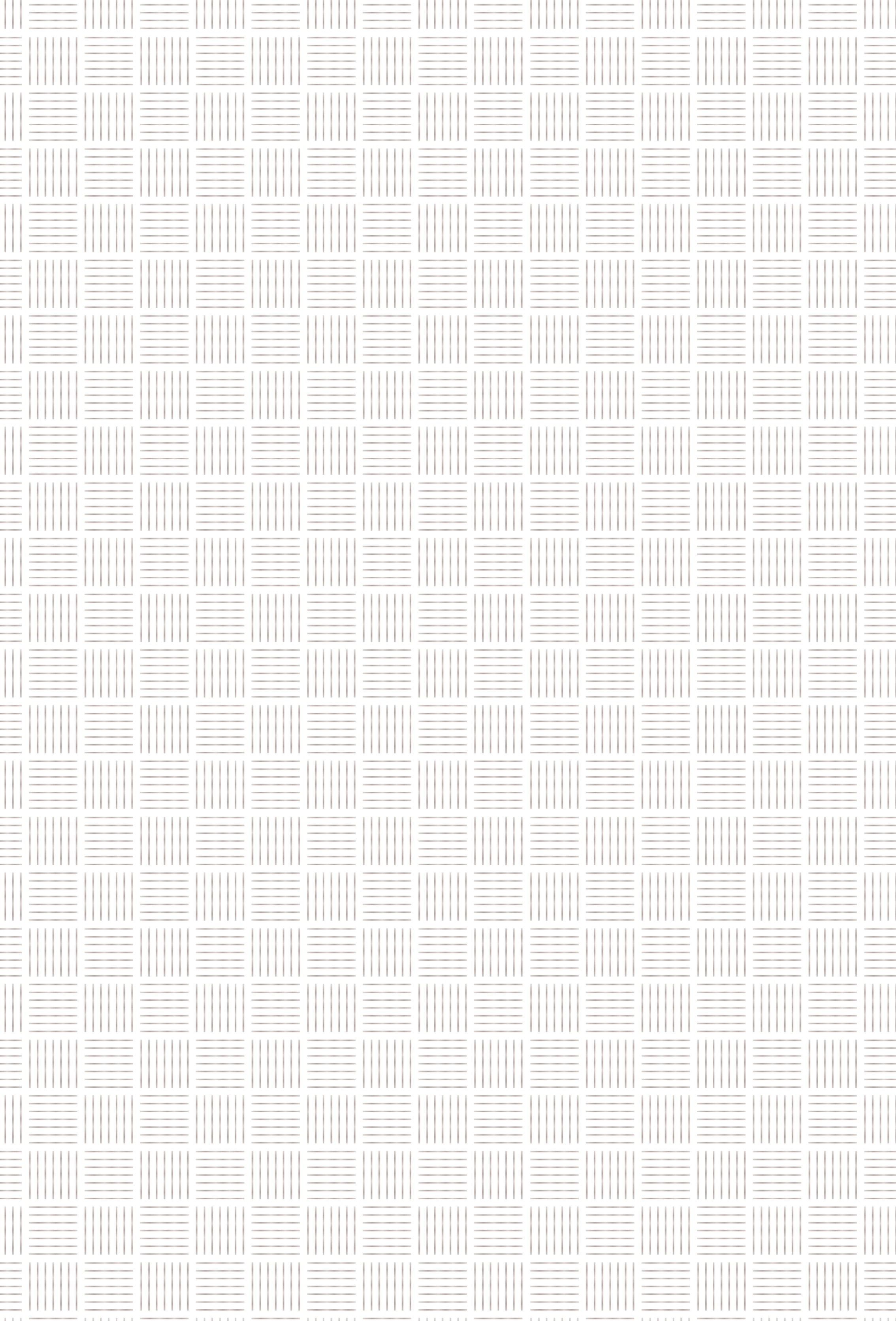
❊ الثبات فقط؛ ليس محمودًا، إلا إذا كان على الحق.

---

(١) مجموع الفتاوى (٣٥/ ٣٦٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٤/ ٦١)، برقم (٣٠١٧).

(٣) وهي حكمة بليغة مأخوذة من نصيحة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه، ونصها: «وإن مراجعة الحق خير من التمادي في الباطل». سنن الدارقطني (٥/ ٣٦٩).



لا تنس نصيبك من الحب

الحديـث عن الحب شـيء مخجل عنـد بعض أهل العلـم والأدب، وإنـك لتجـد الكثير يترك ذلـك، إما ترفعًـا أو تغافلًا، أو تجاهـلًا... بل قد يطـول المقـام بأحدهـم حتى يرى أنـه خارم للمـروءة، وكأنه لـم يكن قط عاطفـة بشـرية، وشـعورًا إنسـانيًا.. إن الحـب أعـذب صـورة للجمال في الحيـاة وألمع طمـوح، إنه فتنـة العذوبة..

فـلا يجـري مـاء الحيـاة رقراقًا فـي الغصـن إلا بالحـب.. ولا يلتف الغصـن علـى الغصـن إلا بالحـب، كمـا يقـول الطنطـاوي إن مـاء الحب يجـري فـي رياحيـن القلـوب، و أهـل الحـب تهفـو قلوبهـم.. وتتمايـز دروبهم..

إنـــــه الحب واشــــتياق المُعَنَّى
فادرِ يا صاحـــــب الهوى وتأَنَّى

كـم من أجسـادٍ تعروها رعشـة مـن وطأة الحـب.. وكم مـن أجفان تكسـوها دهشة..

من لوعة الحب..

إنه لوعة من العشق يهوي...

في يديها سيف المنية أحنى

آه مـا أعجبـه.. أعجـب من العجب.. وأسـرع أوارًا فـي الأرواح من

اللهب..

صاحب الحب..

فعَّال.. قوَّال.. مفضال..

إنه الحـــــب دمعـــــة ووجيب

وفـــــؤاد يحنو به ألـــــف معنى

فهو فعال: للتضحيات في عالم الحب..

ومفضال لتجلُّده.. وتحملُّه.. جهد الصبابة..

فلولا الحب.. لما جهدت مهج المحبين..

ولمـا ذابـت أعيـن الوالهين.. ولمـا أنفق في هـذا العالـم درهم ولا دينار.

إنه الحـــــب بين جـــــانٍ وحانٍ

إنه الحـــــب يا أخـــــي فتأنَّى

بالحب.. يكون الإيثار.. بالحب يكون النجاح..

بالحب يكون الكفاح.. فالحياة الحب..

والحب الحياة.

والنجـاح.. لا يكـون إلا بالحـب.. فـإن شئت نجاحـا وفلاحـا؛ فاعمـد إلـى طريـق الحـب..

محبـة اللـه.. ومحبـة مـا يحـب اللـه.. ومحبـة مـن يُحـب اللـه. واسـلكه فـي حياتك تجـد فلاحـا... يرتقبـك... ورفعـة تعلو بشـأنك... وجمـالا لعاقبـة أمـرك...

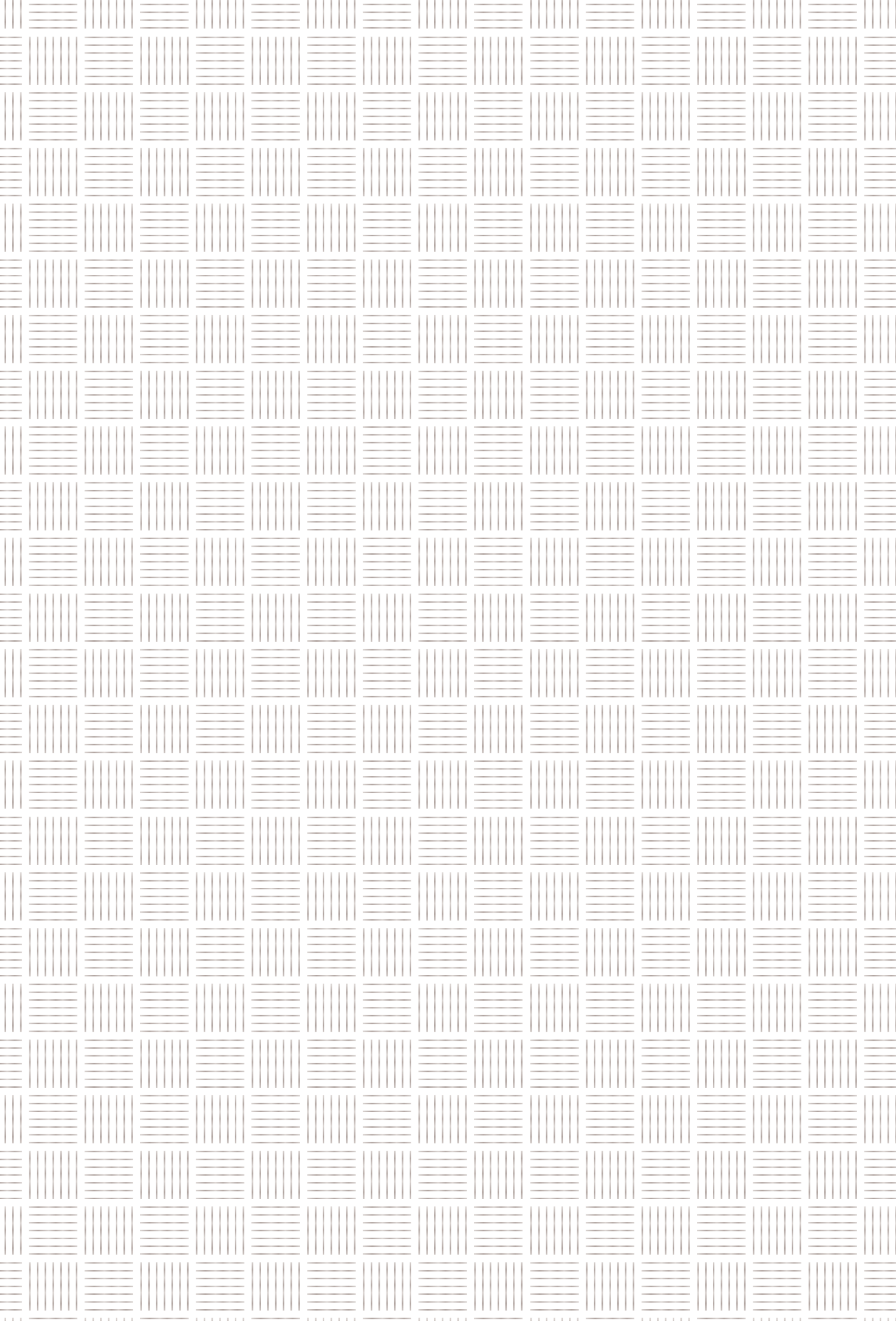
عقبولة:

❋ الحياةُ حُبٌ صادق، وقلبٌ وفِيٌّ، ونفسٌ قنوع.

❋ الحب مخلوق شريف، وشفيف، كل شيء يؤثر فيه.

❋ أسمى معاني الحب جمعت في قول الله جل وعز: ﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤].

❋ ما على المحبين من سبيل، ولا على هجرهم أي دليل.



كانا يوم كنت

كان يتيمـا لمـا خـرج مـن أرض قومـه... إلـى نجـد العامريـة.. ثم انطلـق إلـى بـلاد الخليـج يجوبها ويبحث عـن ما قسـمه الله لـه،.. انتظم فـي السـلك العسـكري زمنًا.. ثـم بلغـه الخبر الـذي غيَّر مجـرى حياته..

إنهـا ابنـةُ العـم، وقسـيمة الصبـا، وراعيـة الجبـل،.. جـاء مـن يخطبهـا.. لِمَـا كانـت تتمتَّـعُ بـه مـن خصـال وخِـلال وجمـال ودلال، بيـن بنـات جنسـها.. فاقتهـم بكلِ جـدارةٍ مـن بين شـابات القريـة الريفية الحالمـة التي يسـكنها.. ومـا كان من صاحبنـا لما بلغه الخبـر؛ إلا أن قدَّم ورقـة الفصل مـن عمله فـي الخليج، واسـتلم مسـتحقاته،.. وانطلق على أجنحـةِ الحـب والود والنجـاء.. نحو فتـاة أحلامه.. نعم.. دخـل صاحبُنا القريـةَ علـى حيـن غِـرَّة مـن أهلها، وهـى ترتـدي حُلَّـة المسـاء، وكم في بـدر الجنـوب مـن معانـي السـكون والسـناء، والهـدوء والهنـاء.. ليـلا، والسـكينة تحـفُّ جبالهـا.. توقفـت الأصوات، وهـدأت القريـة، ولم يبق إلا صـوت خرير الماء في السـواقي، وبعض أصوات الصواني؛.. يُشـنِّفُ مسـامعَ صاحبنـا، والشـوق يحفُّـه، والظلام بـدأ يلفه، ومـا إن أصبح حتى اغتـدى إلـى عمِّـه، الـذي أحاطه بعنايتـه بعد مـوت والـده، وكان له مكان الوالـد، وتقـدم و طلـب يـد سـيدة الحسـن والـدلال، والأدب والجمال، فقوبـل بالترحيـب، وهزَّتـه أريحيَّـة العـرب؛ فقبَّـل رأسَ عمِّـه.. شـاكراً

لأعظـم معـروف قدَّمه إليـه.. وما هي إلا سَـنة، وكنـتُ بينها فـي الدنيا... نعـم.. أنـا.. «محمد».

عشـتُ عليـل الجَسـد فـي المهـد.. حتـى أشـفق علـيَّ القريـب والبعيـد.. وحتـى ظـن ظانٌّ توديعـي للدنيا.. قبـل مصافحتـي لأزهارها.. وطربـي بأطيارهـا.. وتلـذذي بمفاتنهـا.. والحمـد للـه علـى كل حـال.. دفعتنـي الوالـدة الـرءوم إلـى والدهـا.. «جـدي محمـد»، وأخـذ بيـده حديـده... أوقـد عليها النـار... وبلا مقدمات.. أو كشـف.. أو تشـخيص للحالـة، وضعهـا علـى مؤخـرة رأسـي.. لحظـات، وخمـدت الأنفاس.. وانقطـع صـوت ذلكم الصبـي العليل.. ليلتفـت لمن حولـه.. وكأنه إيذان بحيـاة جديـدة.. وبالفعـل نفـع اللـه بهـذه التجربـة.. وانقشـعت غمائـمُ الخوف والإشـفاق، وأمـدَّ الله في عمـر الغلام حتى كتب هذه الأسـطر.. ثـم بعـد بلوغه الشـهر السـادس من عمره؛ اسـتقر فـي نجـد العامرية، هو وأسـرته الصغيـرة إلـى الآن.. وعـودًا علـى بـدء، والعـود أحمـد.. أعـود لسـيرة ذلكـم اليتيـم.. أتعلمـون مَـن هـو بعـد هـذه الأحـداث.. أنـه... «سرار».

ومعنـاه من كثـرة إدخال السـرور على النفـوس، ومسـرة القلب بما يحـب، فكان:

سَرَّار الإنسان...

سَرَّار العطف واللطف...

سَرَّار البر والإحسان...

سَرَّار العصامي...

سَرَّار ذو الصدر الواسع...

سَرَّار ذو البيت الواسع...

سَرَّار ذو القلب الواسع...

سَـرَّار ذو الجيـب الواسـع.. عـاش عصاميًـا قويًا في زمـن صعب.. وكان صـدرًا رحبًـا لـكل أخٍ لـه.. فكان منزله أشـبه شـيء بمنـازل الكُبراء مـن وجـه فقـط، وهـو مـن وجـه فتـح أبوابـه لـكل أحبابـه.. فـكان بيتـه مفتوحًـا، وصـدره مفتوحًا..

عاش على هذا.. لا حرمني الله بره..

تعلَّمـتُ منـه الكثيـر.. تعلمتُ منـه الكفاح بـكل معانيـه.. وتعلمت منـة العصاميَّـة فـي الحيـاة، وقـد تقـرَّر عنـدي مبـدأ العصامية فـي الحياة فكنـت علـى قول الأول: «اسـتغن عمن شـئت تكـن نظيـره، وأفضل على من شـئت تكـن أميـره، واحتج مـن شـئت تكن أسـيره»[1].

وتذكرت قول البارودي سامي:

إذا أنا لم أعط المكارم حقَّهَا ... فلا عزني خال ولا ضمني أب

خلقتُ عيوفًا لا أرى لابن حرَّة ... لدي يدا أغضي لها حين يغضب

(١) المجالسة وجواهر العلم (٦/ ٢٨٣).

أســــــير على نهج يرى الناسُ غيره

لكل امرئ فيمـــــا يحاول مذهب

وتعلَّمـتُ منـهُ سـعةَ الصـدر، وطـول النَفَـس.. وتعلَّمتُ منـه محبةَ الإحسـان للآخريـن، ولو تناسـوا ذلك، وتحملـه النخوة.. إلـى محامل.. وهـذا كلَّفـه فـي حياتـه الكثيـر، غيـر أنـه لا يرتـاح ولا يطمئن حتـى يبذل إحسـانه لغيـره.. وإنـي لأرجـو أن ألتـزم الإنصـاف، وأنـا أرقـم هـذه الأحـرف، غيـر أن عاطفـة البنـوة تأبـى إلا أن تُجَـلّ صفـة الأبـوة..

أبي لا يذقني اللـــــه فقدانَ مثله

وأين له مثلٌ وأيــــن المقارب

وعلـى الحقيقـة، فلقد تعلمـتُ منه الحيـاة كلها.. بحلوهـا ومرها.. وعلـى كثرة مخالطتـي للعلماء ومجالسـتي للكبـراء، ومصاحبتي لأرباب الهمـم؛ والله مـا انتفعتُ بأحـدٍ كانتفاعي بما رأيت من والـدي، و الكمال للـه جل وعـز.. غير أنـي أرى فيه معانـي لا يراها غيـري.. وكانت أوضح البصمـات فـي حياتي بصمتـه؛ إذ الابـن صنو أبيـه.. ولقد رأيتنـي أحاكي أفعالـه فـي الصبـا، حتى صارت لـي خصـال، ولا أزعم أنني أصـل إلى ما وصـل، ولكن كما قـال الأول:

نبنـــــي كما كانـــــت أوائلُنا تبني

ونفعـــــل مثلمـــــا فعلـــــوا

وهـو مـع ذا مرهـف الحـس.. تؤثـر فيـه الكلمـة.. ويهـزه بيـتُ القصيـد.. وإنـي لأجـد ذلك فـي حياتي عيانًـا... فـإن البيت مـن القصيد العذب.. يشـجيني.. بـل يسـحرني، وإن الكلمة الصادقة تَهُزُّ وجداني...

فلا أشعر إلا بشواظٍ من نار المعاني يَهزُّ المباني.. لا حرمني ربي من بِرِّكَ.. ولقد تعلمت الكثير والكثير..

• فهو أبو العصامية إن كان لها أبٌ..

• وهو صاحب التضحية والبذل في سبيل جمع الكلمة، ووحدة الصف في الأسرة..

• وهو من أكثر من رأيت موافقًا قوله فعله..

• وهو من أحزم الناس في الأخطاء والزلَّات..

• وهو صاحب علاج عملي مباشر ناجع للخطأ، يحتمه الظرف، ويتطلبه الموقف.

• وهو ذو صدر رحب بالمحتاجين، فتجدهم يحفون به، والكريم من الرجال من طمع به الناس، وطلبوا النوال..

• وهو الذي يعطي، ولو كان محتاجًا..

• وهو الكتومُ لمعروفه وإحسانه، فلا يكاد أحد يعرف ذلك إلا ما ندر.. وغيرها وغيرها كثير.. لا حرمني الله بِرَّه..

أما تلكم الراعية الريفية الجميلة فكانت ظفائر شعرها هي الرمز والدلالة عليها، إذ أنها كانت تتمتَّعُ بأجمل شعر بين قريناتها من بنات قريتها...

تربَّت في بيت عِزٍّ وأدب، وتَخلَّقت بأخلاق الكبار في صغرها، فكانت شامة في وجه الزمن.. ودرة في عقد الجمال... وكلمة على لسان أهل الثناء..

لهـا صبـرٌ أعتقـد أن مسـمَّى الصبـر يعجـز عنـه، ولهـا طـول نفس أحسـب أنـه ينقطـع معـه كلُ نفـس...

درجـت فـي بيـت كريـم، والدها مـن أعظم النـاس تـوكلًا، فهو من أهـل البسـاتين والـزرع، وهـم كما جاء فـي الأخبـار من أهـل التوكل..

عسفها على معاني مشرقة، وربَّاها على معالي مورقة..

فكان من هذا الخليط تلكم الـ«حسناء»..

بلغـت مبلـغ النسـاء..، وتقـدم لهـا شـبان القريـة، الـكل يرجـو من هـذه الحَصَـان الـرزان أن توافق عليـه زوجًا لهـا، ليحظى بخيـر الدنيا، بل بجنـة الدنيـا، ولقد جاء فـي دعـاء الصالحين: «ربنـا آتنا في الدنيا حسـنة، وفي الآخرة حسـنة».

قـال بعـضُ أهل العلـم: وحسـنة الدنيـا: الزوجة الصالحة، وحسـنة الآخـرة: الجنـة.. فلـك أن تتصـور.. والمقصـود أن والـد هـذه الحسـناء لـم يقـدم أحـدًا على مـن ظن بـه وأحبـه، وكان مزعه منـه.. (فأبـرق له).. برقيـة.. أن فلانـة «الحسـناء» تكلم فيها الخطـاب، وأني أنظر في شـأنك، فـإن شـئت زوجتهـا؛ وإلا قبلنـا مـن خطـب.. فقـدَّم فـارس الأحـلام الجـواب عمليًّـا، لسـان حالـه: الجـواب ما تـرى لا ما تسـمع..

وقـدَّم فصلـه مـن وظيفتـه.. يـوم أن كانـت الوظيفـةُ تعنـي الشـيء الكثيـر للنـاس، ودلـف إلـى قريتـه يحـدوه الشـوق، ويسـابقه الأمـل، وطلـب يـد الحسـناء، وقبلـت، وبقـى معهـا مـا يقارب السـنة فـي رياض الريـف، ثـم كُنْـتُ يـوم كانـوا..!!

ودلـف إلـى نجـد العامريـة يبتغي الـرزق، واسـتقر مـن أول تكوين هـذه اللبنـة.. وبعـد أن أصبـح عمُـر «محمـد» سـتة أشـهر.. نعـم.. سـتة أشـهر فحسـب. فهـل عرفتـم مـن هـذه الحسـناء... إنهـا «غَفْـرَة».. أم محمـد فرحمهـا اللـه كمـا ربتّنـي صغيـرًا..

ومـن معانـي هـذا الاسـم: الغَفْـرُ وهو ابـن الغـزال الصغيـر؛ وقيل: بـل هـو صغيـر المهـا، والوضيحي...

فكانت شامة في خد الفضائل، ومفرق الحسن، نعم إنها...

غَفْرَةُ الحب والعطاء...

غَفْرَةُ الهمة والحزم...

غَفْرَةُ الإحسان والصلة...

غَفْرَةُ الإنسان والإنسان...

غَفْرَةُ الصدق والوضوح...

إنها والله لي عافية الدنيا...

ولقد تعلمت في حياتي منها دروسًا كثيرة.. منها:

- الصبر على مشاق الحياة.
- حُسن العشرة مع الناس.
- سعة الصدر في المواقف.
- السرية والكتمان للأسرار.
- الرأي السديد في مناحي حياتي.

• الأمل في حياتها كبير، جدٌّ كبير.. حتى تعلمناه منها.

• التحفيز الإيجابي للجميع.

• الصـدق في الحديـث، وعدم الاكتـراث منه مهما كانـت النتيجة، ومـع مَن كان.

• التضحية، والبذل.

• التعامل بالإحسان مع من أساء لها.

ولقـد رأيتُهـا تحسـن لنسـاء ليسـوا أهـلًا لإحسـانها، فعجبـت، وسـألتُها؛ فقالـت: «كلٌّ لـه عملـه».. أعطيهـم الـذي عنـدي، ويعطونـي الـذي عندهـم.

• الحزم في التربية، وإن تطلَّب ذلك التأديب.

• الخوف على الجميع، وحَمْلُ هَمِّ الجميع.

لا حرمني الله مِن برِّها.

بقي أن أقول:

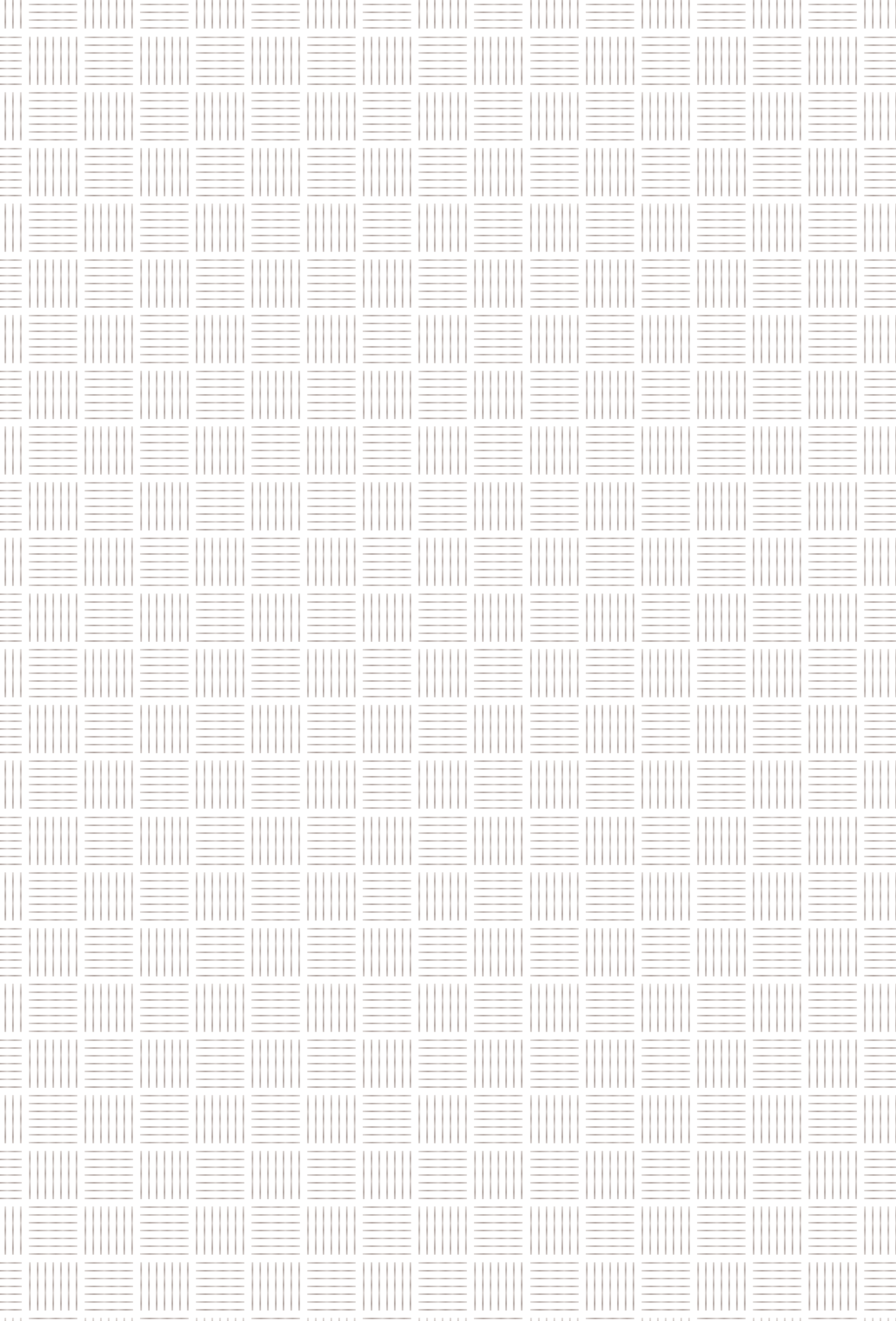
اللهـم ارحمهمـا كمـا ربيانـي صغيـرا... وأجزهمـا عني خيـرا كما صحبانـي كبيـرا... ومتعنـي بحياتهمـا وعافيتهمـا كثيـرا كثيرا...

وأكرمنـي بالقـرب منهمـا والتشـرف بخدمتهمـا مـا حييـت... يـاااارب.

وهـا قـد رحـل سـيدي الوالـد إلـى جـوار ربـه، وأحاطـت بـي الذكريـات مـن كل مكان تـكاد تخنقني، فيـا ربِّ اربط على قلبـي، واغفر لأبـي إنـه كان مـن الصادقيـن.

كان رحمـه اللـه يحـب البسـاطة، والبسـطاء، والتباسـط مـع مـن يحـب، فأحببـت ذلـك منه، وكان رحمـه الله يقيـل العِثار، ويكـرم الجار، ويقـرب الضيـف، ويأخـذ مـن صلـب حلالـه، وكرائـم مالـه، لينفقهـا فـي نوافـل الفضائـل، ومحاسـن الأعمـال، وكان كثيـرًا مـا يلفـت نظري للمعاسـير، والمحاويـج، بالسـعي في قضـاء حوائجهم، وتنفيـس كربهم، والسـعي فـي ذلـك، والتخفيف عـن النـاس، وكانت سـعادته رحمـه الله فـي العطـاء للآخرين وإسـعادهم..

صبـر اللـه قلبـي، وعصم روحـي، ورزقنـي إيمانًا أسـتعين بـه على تجـاوز هـذه المرحلـة.. أنـا وإخوتـي وكل محب.



(القاعدة البوشية)

قال بوش الابن في تصريح له:

إما أن تكونوا معنا أو ضدنا..

هـذه القاعـدة البوشـية عمل بهـا من أصبـح يعيش بين النـاس بروح قتاليـة، يُحَقِّـب النـاس، معنـا أو ضدنـا، فـي عمليـة جائـرة للغـوص فـي مقاصـد الأرواح، ومعاقـد النفوس..

وأذكر حواراً جرى بيني وبين رجلٍ يزعم أنه صديقي...

قال لي: أتعبتني يا أخي...

قلت له: أعوذ بالله، مما؟!!!

قال: لم أعرف لك تصنيفاً أصنفك به بين الناس...

قلـت لـه بعـد طـول تأمل فـي كلامـه ومقاصـده...: أنـا أصنف لك نفسـي لترتـاح مـن مأثـم ذلك ومغرمـه ومغنمـه إن كان فيـه مغنم...

فأنا مخلوق بشري...

سمّاه والده -رحمه الله- محمد...

كاد يمـوت فـي صغـره بأمـراض تعـاودت عليـه شـفاه اللـه منهـا بفضلـه ثـم بـأم رءوم تحنـو عليـه وجـدٍّ حـاذِق كـواه فـي قفـاه... فأفـاق صاحبـك للحيـاة مـن جديـد بتيسير اللـه وفضلـه...

وكَبُر الصبي وشَبَّ عن الطوق وهو في ظل ظليل من والده الكريم -رحمه الله- ولزم حِلَق القرآن الكريم في صباه حتى ختم على شيخه الباكستاني عبد الرحمن قاضي في مرحلة الجامعة، وتعلم على علماء الرياض ولزم مجالسهم خاصة الإمام عبد العزيز بن باز والشيخ عائض بن فدغوش الحارثي رحمهما الله والشيخ عبد الله بن صالح القصيّر حفظه الله...

مرّت بالشاب محمد عواصف فكرية تمر بالجيل بطبيعة المرحلة العمرية، ولكن كان توفيق الله ثم الناصح الصادق والدي رحمه الله رحمة واسعة سداً منيعاً من الانزلاق فيما يعارض شرع الله فكرياً ومنهجياً...

وقد كان له موقف من جهيمان و أتباع حركته فقد حاولوا زيارته في منزله وعمري إذ ذاك سُنَيّات، فطردهم وأغلظ لهم القول، وقال لهم كما كان يروي لي تلكم القصة بكل براءته المعهودة رحمه الله: «لو كان فيكم خير كنتم عند ابن باز في دروسه أو كان ابن باز معكم عند بيوتنا...».

وكنت أكبر فيه هذا التوفيق الذي هُدِي إليه ورُزِقَه من غير حولٍ ولا قوة...

وأذكر أنني كنت أناقشه رحمه الله ويحتد بيننا النقاش غفر الله لي في موقفٍ من شخص يظهر نجمه ويبرق اسمه في الإعلام الدعوي، وقد يكون له فُقّاعة إعلامية يطفو بها اسمه على سطح

مكتـب المجتمـع... فـإذا أراد أن يُنهـي نقاشـنا قـال لـي -بـكل بـراءة-: «هل هـو أعلـم أم ابـن بـاز...؟».

قلت: لاشك شيخنا الباز أعلم وأحكم، وأدبه وجادته أسلم..

عندها يضحك ضحكة المنتصر ويقول:

قـال لـك: «لا تتعـدى ابـن بـاز، مـن دخلـت الريـاض يـا ولـدي وعمـري قرابـة العشـرين إلـى اليـوم وهـو مـا أختلـف مثـل غيـره...».

فـكان والـدي الغالـي رحمـه اللـه يُعلّقُني مـن حيـث أشـعر أو لا أشـعر بالنمـوذج البـازي ممـا جعلنـي انقطع عـن كل المؤثـرات الدعوية إلا مـا كان مـن بـاب شـيخنا الإمـام ابـن بـاز رحمه اللـه رحمة واسـعة ما شَـكَّلَ عنـد الطالـب الجامعـي قالبـاً معرفيـاً عرفتـه فيمـا بعـد مـن خلال البحـث والمطالعـة بمنهـج أئمـة الدعـوة النجديـة...

وكنـت أتأمـل حيـاة شـيخنا الإمـام وهـو يُزَكّـي كل مـن يعمـل في السـاحة العلميـة والدعويـة ويؤكـد علـى لـزوم السـنة النبويـة وينكـر مـا كان مـن مخالفـات شـرعية لجـادة سـلف الأمـة بالتي هـي أحسـن طوراً بالزيـارات وطـوراً بالاتصـالات وطـوراً بالمكاتبـات وطوراً بالـردود... حتـى علـق فـي ذهنـي منهجـه وحُسـن اسـتصلاحه لمـن حولـه وجمال تدبيـره لمـا منحـه اللـه به مـن علم وحسـن خلـق...

وكنـت ألتـزم صـلاة الظهـر كل يـوم ثلاثـاء فـي مسـجد الإفتـاء للسـلام عليـه وسـؤاله عما يُشْـكِلُ علـيّ من عـام ١٤١٢ إلى العـام الذي مـات فيـه رحمه اللـه رحمة واسـعة وما أذكر أننـي خرمت ذلـك إلا لماماً

حتى عرفني باسمي وبتخصصي وبجامعتي وبوظيفتي رحمه الله رحمة واسعة ولا أنسى موقف أبي غفر الله له ضحى يوم الخميس الذي قبض فيه الشيخ كيف تردد في إخباري وكيف واساني وكفكف عبراتي ووعظني حينها بقوله: «إن كنت تحبه فسر على طريقه...».

ويا لها من وصية تلمع في سماء حياتي كل ما يمر عليّ موجبٌ لها...

ومازلت يا صاحبي اجتهد في قفو أثر هذا الرجل وأسير على جادته امتثالا لقول الله ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ ولقول رسوله صلى الله عليه وسلم: «ليس منّا من... ويعرف لعالمنا حقه»[1].

وامتثالا لوصية والدي سرّار رحمه الله رحمة الأبرار...: «ن كنت تحبه فسر على طريقته...».

ومع ذلك أحببت البليغ لبلاغته والكاتب لقلمه والمُشاكِل لمُشَاكَلَته ولم أقبل منهم كل شيء بل كنت أخسر بعضهم جراء النصيحة الصريحة إذا رأيت منهم ما يخالف أمر الله جل وعز.

فهل عرفت أيها المُصَنِّفَ المُنْصِف من أكون؟

وأنا مع ذا شديد النفرة من التقليد الأحمق والتقليد البليد وانتهج الحق ما رأيته وُسعي وطاقتي ولو خالف رأي شيخي الإمام... الذي طالما سمعته في درسه بجامع سارة وهو يقول بصوت متهدج: ما وجدتم من كلامي يخالف الكتاب والسنة فاضربوا به عرض

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٣٧/ ٤١٦)، برقم (٢٢٧٥٥).

الحائط... ويشير إلى جدار المسجد تارةً يمنة وتارة يسرة...

بقي أن أقول لصاحبي ولكل مبتلى بأعراض الناس...

جعلنا الله ممن يخدم الإسلام وأهله ونعوذ بالله أن نكون ممن يستخدم الإسلام وأهله، كما أنني أُشهِد الله وملائكته وجميع خلقه بما فيهم أنت أنني أبرأ إلى الله من كل ما خالف كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وأنني لا أفهم الكتاب والسنة إلا بفهم سلفنا الصالح رحمهم الله، ومن سار على دربهم من أئمة الدعوة في مملكتنا الغالية، وأنني أحث على الاجتماع على إمام المسلمين ولزوم حِلَق كبار علمائهم وأحذّر من أصحاب الأهواء والمُحدثات والبدع سواء العلمية أو العملية أو الاعتقادية أو المنهجية بأي اسم كانت وبأي رسم بانت...

فهل عرفت من أكون يا صاحبي؟

أنا مسلم... ، جعلتُ من أئمة الدعوة في بلادنا المباركة قُدْوةً في الفهم والسلوك والمنهاج فسلمتُ من التشتت، والتنمر والتحزُّب، ولله الحمد والمنة.

وفّقنا الله للسير على جادة العلماء الناصحين والأئمة المخلصين، ورزقنا وإياك الانشغال بخواص أنفسنا تهذيباً.. وتأديباً وتعليماً وعملاً..

والسلام يا صاحبي يغشاك.. ليطهر الله به قلبك..

والرحمة ليطمئن بها فؤادك..

والبركة لينمّي الله بها علمك وعملك..

ولكل محب يحب الله...

عقبولة:

❋ الأيام كواشف.

❋ من سار على سبيل المؤمنين وفق لأكمل حال، وأحسن مآل.

❋ التيـارات غَلَّابة، والدعاوى الكاذبة يكشـفها صـدق الاتباع للنبي صلـى الله عليه وسـلم، وللصحابة الكرام، وللسـلف الصالح.

❋ من الرجال جبال، رحم الله الباز.

❋ كلمـا ذكـرتُ مجالسـه، الأُنـس بهـا فاضـت عبراتـي، وزادت زفراتـي.

❋ والله الـذي لا إله غيره أنني لـم أَرَ بعدهُ مِثلهُ، حتـى هذه اللحظة، وأن كل كبيـر عندهُ لصغير.

صفحات من الحياة

لاشك أن المهد منبع فضائل الطفل، وقد نشأت في أسرة صالحة طيبة جدا من فضل الله علينا وعلى الناس، كانت محافظة على الواجبات الشرعية ومقدرة للقضايا العرفية، وكان سيدي ووالدي أبو محمد كما يحب أن نناديه -رحمه الله- محبا للخير والفضل والبر والإحسان، وهو من جيل العصاميين الذين نحتوا الصخر، للتيسير لأبنائهم حياة كريمة، وحاز في تعليمه الثانوي درجة طيبة، غير أنه اختار سبيل الوظيفة فرسم فردا في العسكرية السعودية، وحاز شرف خدمة بلاد الحرمين، وأرض التوحيد والرسالة، حتى تقاعد وهو يردد؛ أخذت نصيبكم من العسكرية، فتفرغوا للعلم؛ كل ذلك يمهد لنا أبنائه سبيل المعرفة والنجاح، وقد قطع على نفسه عهدا كما أخبرني؛ أن لا يترك أحدا من أبنائه أو بناته، إلا وقد حاز درجة البكالوريوس في تخصصه الذي يحبه، في أقل حال.. ووفى بعهده وصدق بوعده فهاهم الأبناء الأربعة يحققون هدفه، وأعلى بفضل الله، وأما البنات، فلم تتزوج إحداهن إلا ووثيقة تخرجها من جامعتها معها، وأما سيدتي الوالدة أم محمد متع الله بها؛ فقد عاشت حياة القرية والرعي، والزراعة، وتعلمت الأحرف على كبر لتقرأ القرآن الكريم، والحمد لله، فقد غرست في أبنائها وبناتها حب المعرفة والمنافسة

فـي ذلك، وهـي تردد علـى مسـامعنا كلمتها المعهـودة، «المصلـح ربي» وفهمـا المشـجع الأول والـزارع لمحبـة المعرفـة فـي قلوبنا..

أما السيرة الذاتية فهذه ملامح منها على عجل..

فأنـا محبكـم محمـد بـن سَرّار بـن علـي بـن حمـد بـن هـادي بن حمـد بـن فاضـل اليامـي، ولـد فـي ١١/ ٢/ ١٣٩٤هـ.

المؤهلات العلمية:

١-دكتـوراه فـي مفهـوم الثقافـة الإسـلامية ١٤٣٨هـ. مـن كليـة أصـول الديـن والدعـوة والثقافـة الإسـلامية بجامعـة أم القـرى بمكـة.

٢-ماجسـتير فـي الثقافة الإسـلامية وحـوار الحضـارات ١٤٣٣هـ بجامعـة الإمـام محمـد بن سـعود الإسـلامية قسـم الثقافة الإسـلامية.

٣-بكالوريـوس جامعة الملك سـعود كلية التربية قسـم الدراسـات الإسلامية١٤١٧هـ.

الوظائف:

أستاذ مساعد في كلية الشريعة وأصول الدين.

المؤلفات:

١- التحالف الإسلامي ضد الإرهاب دراسة تأصيلية.

٢- المجال الثقافي لحوار الحضارات تحت الطبع.

٣- العقلية المغالية من التشكيك إلى التفكيك تحت الطبع.

٤- ولي الأمر في الإسلام مسؤولياته وحقوقه تحت الطبع.

٥ - العقيـدة الصحيحـة تحـت الطبـع، بالإضافـة إلـى مجاميـع مطويـات ورسـائل كتبـت للمناسـبات.

أبرز العلماء الذين تتلمذ عندهم:

١-سماحة الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

٢-شيخنا العلامة الفقيه محمد بن صالح بن عثيمين.

٣-شـيخنا العلامـة عبد الله بـن صالح القصير وقـد طالت ملازمتي له ولله الحمد.

٤-شـيخنا الفقيـه الدكتـور عايـض بـن فدغـوش الحارثـي كبيـر المرشـدين الدينيـن فـي القـوات المسـلحة ومفتيهـا رحمـه اللـه، وقـد لازمتـه سـبع سـنين رحمـه اللـه.

٥-الشـيخ المحقـق عبـد الرحمن بن ناصـر البراك حفظـه الله، وقد حضـرتُ له الـدورات العلمية فقط.

المشاركات العلمية:

١- درس أسـبوعي كل ثلاثـاء بعـد صـلاة المغـرب إلـى العشـاء شـرح لكتـاب التوحيد وثلاثـة الأصـول والأربعين النووية والوسـطية في جامـع ابـن عثيميـن فـي الرياض.

٢- درس أسـبوعي فـي بعـض مسـاجد منطقـة نجـران، فـي كتـب العقائد.

٣- إلقـاء محاضـرات داخل مناطـق ومحافظـات المملكـة العربية السعودية.

كنت أقسم أورادي المعرفية على أقسام:

١- فورد للمحفوظات:

من كتاب الله..

ومن صحيح سنة رسول الله... كمختصرات البخاري ومسلم والبلوغ ونحوها...

ثم بعد ذلك المحفوظ من كتب الأدب ودواوين الشعر...

كبعض المعلقات وعيون القصائد العربية ومنها ما كنت أنسخه للحفظ...

ونسخت بعض المنثورات ككثير من مقامات الحريري...

٢- وورد للمقروءات...

وكنت ألتهم ما كان يقع في يدي بادي الأمر... حتى وجهت قراءاتي لما أحتاج له في البناء المعرفي والتصور الفكري ما أكسبني ولله الحمد والمنّة البعد عن عقلية القالب المتشكلة بفعل فاعل وتوجيه موجه.. وقد حمدت عقباها لاحقا بفضل الله ومَنِّه..

٣- ورد للنسخ والتلخيص والبناء المعرفي وقد كانت كثير من المعارف التي تعلمتها وأتعلمها بهذه الطريقة... فإذا شعرت لحاجة لفن من فنون العلم لخصت فيه أهم ما كتب حوله...

٤- ورد المنتخبات... وكنت أنتخب مذكرات صغيرة أحملها في أسفاري وتنقلاتي أجمع فيها درر الكلام وغرره... وأبوبها...

وأكـرر النظـر فيهـا... شـيء فـي متـون العقيـدة وتعاليـق حولهـا، وشـيء فـي متـون الفقـه وتعاليـق عليهـا، وشـيء فـي الأدب والإنشـاء والنثر والبيـان، وشـيء فـي تجـارب العلمـاء والحكمـاء والقـادة...

٥- وورد للمكتوبات...

فمـا إن تختمـر المنتخبـات فـي ذهنـي حتـى تعـود ركامـا معرفيـا جاهـزا للتوجيـه... والإفـادة...

فتكتب منها مخططات علمية وخطط بحثية لأفكار شتى...

ثـم أقسـمها علـى الحاجـات والأهـداف والمقاصـد والزمـن، وأجعلهـا فـي ملفـات صغيـرة أصطحبهـا معـي مـن حيـن لحيـن...

٦- وورد المقـالات... فأنـا رجـل مِسْـفَار... علـى وزن مِـدْرَار... وأجعـل مـن رحلـة الطائرة فرصـة للكتابـة حول فكـرة مزعجة أشـغلتني أيامًـا أو أسـابيعًا... حتـى أسـودها ذهابـا وأبيضِهـا إيابا... لأعدها للنشـر بالصحـف الإلكترونية...

هذا «محمد» باختصار، والسلام مسك الختام.

عقولة:

❋ لنفسي من نفسي عن الناس شاغلُ.

❋ من تفرد بالبحث عن الحق، قَلَّ مشاكلوه.

❋ إذا خدمـت التيـارات الفكريـة والحزبيـة، خدمتـك، ورفعت من شـأنِك، ولـو كنت علـى باطـل، وإذا نصحتهم جعلـوك غرضًـا، وابتلوك بالتهمـة تلـو التهمـة، وكنتَ عـدوًا للإسـلام والمسـلمين -زعموا-.

❋ التخـادم بيـن الضعفاء فقـط، أما الشـرفاء فكلٌّ يقف عنـد فكرته، وعلـى ناصية حلمـه، ويقاتل.

وقفة

﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴾ [الضحى: ٤].

العقبى حميدة دائمًا..

فقد كانت عاقبة كل أمرٍ خيرٌ من أوله.

وهذا جليٌّ في سورة الضحى..

فأول أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم اليتم، وعاقبتهُ ﴿ فَآوَىٰ ﴾..

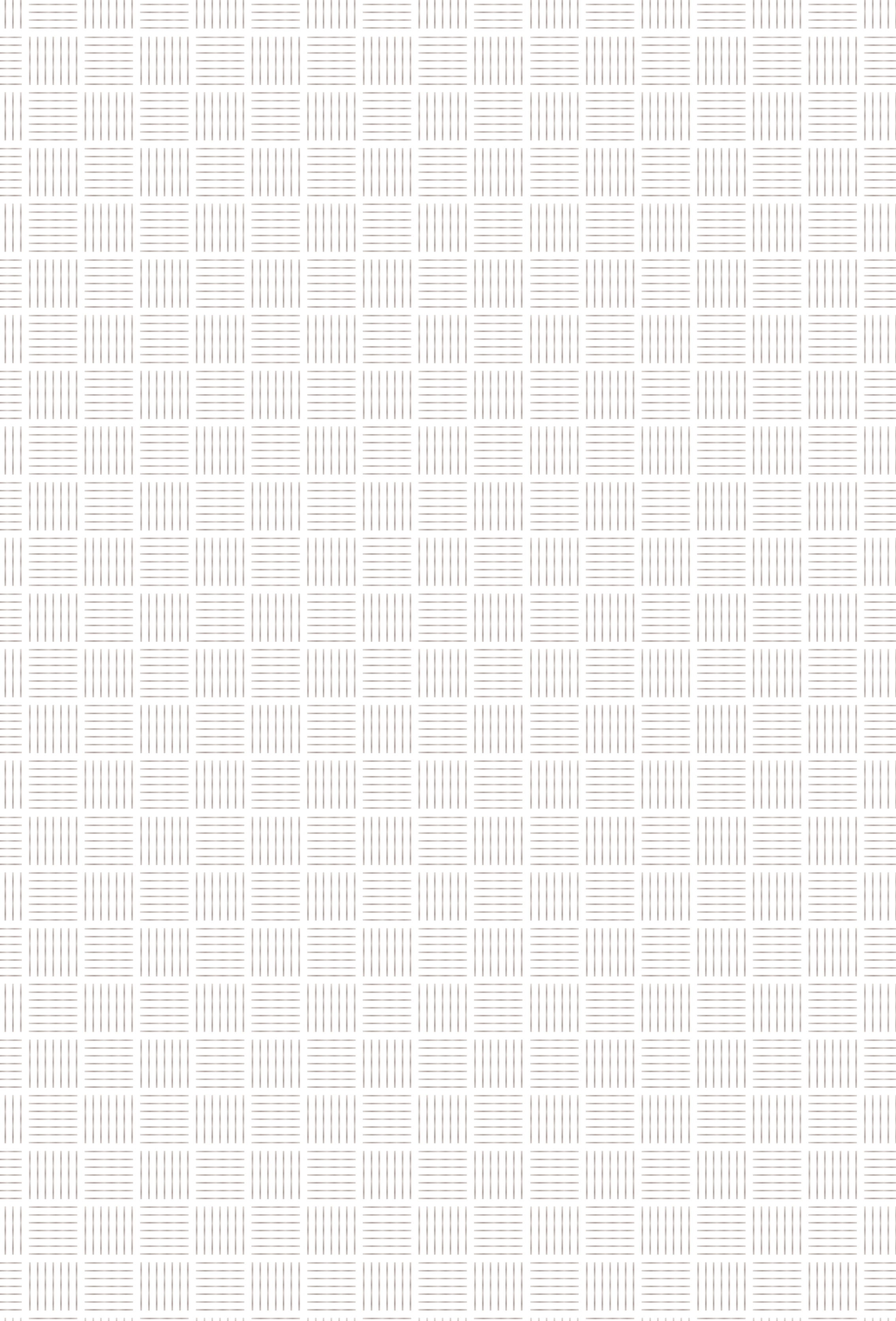
وأول الشأن ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا ﴾، وعاقبته ﴿ فَهَدَىٰ ﴾.

وأول الحال ﴿ وَوَجَدَكَ عَائِلًا ﴾، والعاقبة ﴿ فَأَغْنَىٰ ﴾.

فالعقبى حميدة، والآخرة خيرٌ من الأولى..

وأول شأن الإنسان ضيق، وضنك، وعقباهُ حميدة.

والربُ كريم، معطاءه كلام ومنعهُ كلام، فقوله للشيء ﴿ كُن فَيَكُونُ ﴾، فسبحانه..



ختامًا

هذه عقابيلي، كتبتها يومًا لكم..

فـي صحف سـيارة، ورقيـة كانـت، أو إلكترونيـة، جمعتهـا هنا، لي غرمهـا، ولكـم غنمها..

عقبولة:

العقبى لي.. أن أراكم بفضل وعافية..

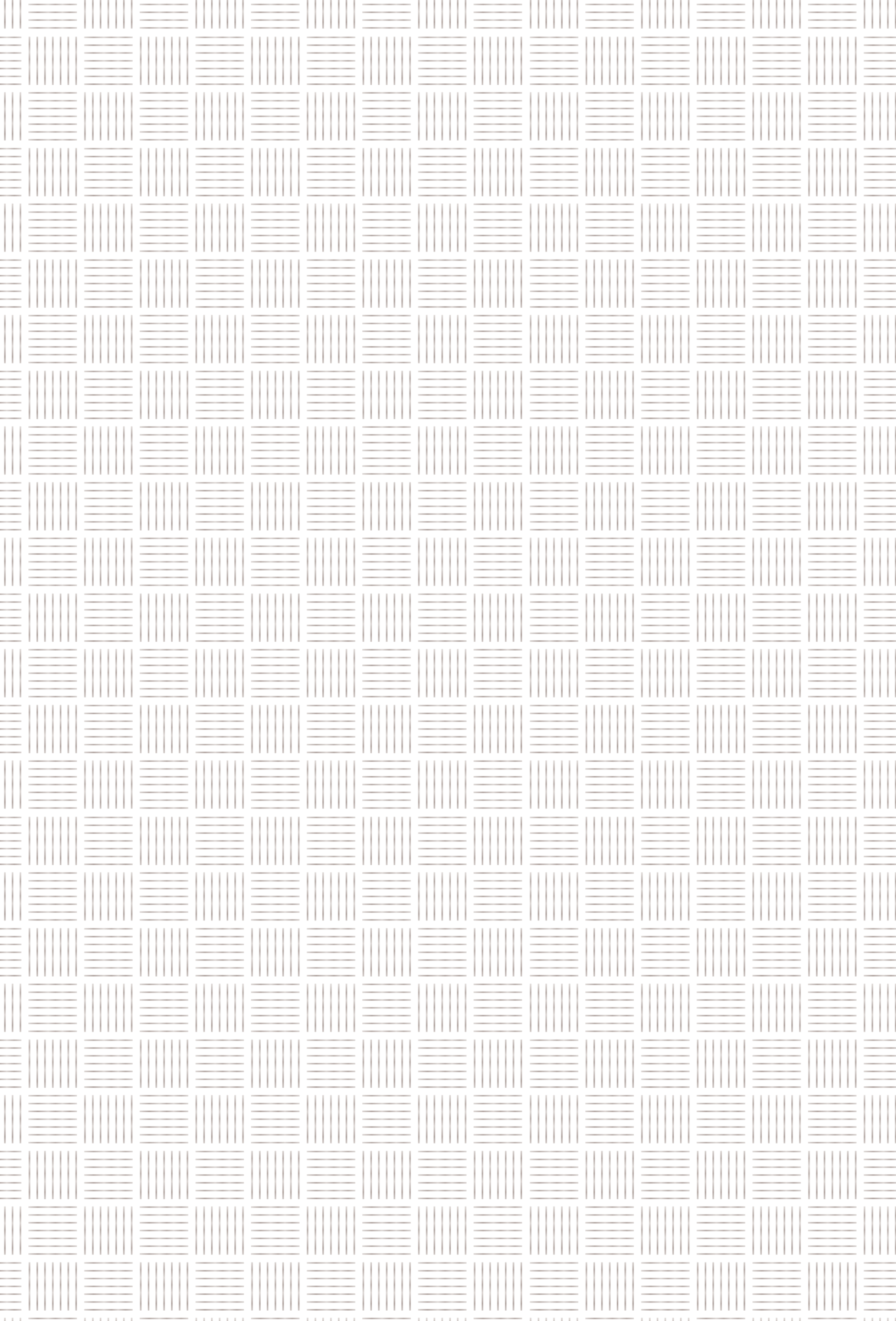
وجعل الله عاقبتنا إلى خير..

محبكم من رياض نجد العامرة

محمد بن سرّار بن علي اليامي

٣/ ٤/ ١٤٤١ هـ

٦/ أبريل/ ٢٠٢٠ م



فهرس الموضوعات

الموضوع **صفحة**

هـذه عقابيـل مـا أقـول، جمعتهـا لكـم عقبولـة، عقبولة، كل عقبولة منها تحكي أملًا، وتداوي ألمًا.

العقابيـل عقبـى الشـيء، وَعِلَّتُهُ، وهـي في مجملها آثار ما نقول في حياتنا، ونكتب بأقلامنا، ونعاني من آلامنا، ويبقى من آمالنا..

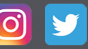
كتبتهـا بمـداد الـروح، وقلـم المُحـبّ، عسـاها أن تكـون قناديـلَ مُقَنْدَلَـةً، في طريـق المعرفـة، أملتهـا اللحظة، وقيدها قلم الإسعاف.

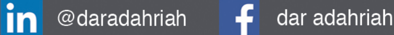
سـاهمتُ بهـا كمشـاركة مجتمعيـة في صحـفٍ سَـيّارة، ورقيـة كانـت أو إلكترونيـة، حاولـت فيهـا تقريـب المعرفـة للنـاس، وخدمـة المجتمـع في بيـان مـا يلـزم بيانـه، وتوصيل رسـالة المسئولية، والمحب إلـى من يخب بحب..

فكانـت هـذه العقابيـل .. عاقبـةً لمـا أقـول، وعربون صداقة لكم..











@daradahriah
dar adahriah
www.daradahriah.com
daradahriah@gmail.com



